

فصلية  
تصدر عن  
رابطة علماء المسلمين



# مجلة بينات

العدد (٢) ::: ذو الحجة ١٤٤٠ هـ ::: أغسطس ٢٠١٩ م

## مكانة القسطنطينية وفتحها العظيم

عالم فقدناه..

حوار مع الشيخ التشادي: د. يحيى عبد الله رَحْمَةُ اللَّهِ..

النفعية الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بينات

## رؤية المجلة:

تشكيل وعي المسلم في القضايا المعاصرة.

## رسالة المجلة:

مجلة تحقق تأصيل العلوم الشرعية في المجالات كافة، وإعطاء الرؤية الشرعية حول أوضاع المسلمين.

## عن المجلة:

- هي مجلة دورية ربعية تصدر عن (رابطة علماء المسلمين)، وتهتم بالقضايا الشرعية والفكرية والعلوم الإنسانية،

ورصد وتحليل واستشراف مستقبل المسلمين حول العالم. - مجلة عالمية تنتهج منهج أهل السنة والجماعة بعيداً عن الغلو والتفريط.

- تخاطب الدعاة والعلماء والمثقفين والمفكرين المهتمين بنهضة الأمة وريادتها، وتبحث الهمم وتحرك القلوب وتبعث الطاقات لمصلحة الأمة، وتحرص على بناء الأمة على العقيدة السليمة والمنهج القويم ليفقه واقعه ويبنى مواقفه على تأصيل شرعي قويم.

✉ bayyinat@gmail.com

## هيئة التحرير

### المشرف العام

الشيخ الدكتور محمد العبدو

### المستشارون

د. حسن عباس  
أ.د. حكمت الحريري  
د. عادل الصمد  
د. مراد القدسي  
أ.د. محمد أمحزون  
د. هشام بربغش

### سكرتير التحرير

م. محمد حسين

تصدر عن

رابطة علماء المسلمين



رَابطة عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ

## موضوعات العدد

### الافتتاحية

■ الإسلام السياسي!

المشرف العام ٤

### ملفات شرعية

■ ورود كلمة بيّنات في آيات القرآن البيّنات

د. كامل صبحي صلاح ٦

■ لمحات وتبصّرات وعقبات في طريق العلماء والدعاة (٢)

د. حكمت أحمد الحريري ٢٠

■ ماذا نفعل إذا تداعت علينا الأمم؟

د. عادل حسن الحمد ٢٤

النفعية الإسلامية

د. محمد العبدّة ٢٨

### مكانة العلماء

■ عالم فقدناه..

حوار مع الشيخ التشادي: د. يحيى عبد الله رَحْمَةُ اللهِ ٣٥

### قضايا فكرية

■ نظرة في حقوق الإنسان (٢)

م. محمد حسين محمد ٣٩

### المسلمون حول العالم

■ مكانة القسطنطينية وفتحها العظيم

د. أنور بن قاسم الخصري ٤٣

# بيّنات

## في هذا العدد





## رَابِطَةُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ

### الرؤية:

تكوين مرجعية عالمية راشدة لإحياء دور العلماء في نهضة الأمة المسلمة.

### الرسالة:

تجمع علمي منظم من علماء المسلمين يساهم في توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم؛ من خلال جمع طاقات العلماء، وتقديم حلول شرعية للقضايا المعاصرة وفق منهج أهل السنة والجماعة.

### الأهداف:

- (١) المساهمة في توحيد كلمة علماء الأمة وإبراز مكانتهم بين المسلمين.
- (٢) استنباط الأحكام الشرعية للحوادث والنوازل وللقضايا المعاصرة، ورد الشبهات حول الإسلام ونبهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفق منهج علمي وبيان ذلك للمسلمين.
- (٣) كشف المخططات المعادية للإسلام والتصدي لها بشتى الوسائل المشروعة.
- (٤) تحذير الأمة وحمايتها من المناهج والعقائد المنحرفة والتيارات الهدامة وبيان موقف الإسلام منها.
- (٥) التواصل مع الهيئات الرسمية والمؤسسات العلمية والدعوية والإعلامية والخيرية فيما يحقق نهضة الأمة.

# الإسلام السياسي!



في إشارة إلى أساليب اليهود الملتوية، ونفوسهم التي أكلها الحسد، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۗ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَاتَيْنَاهُم مَّا لَمْ يَكُنُوا بِمُحْسِبِينَ ۗ وَالْمَلِكُ الْعَظِيمُ ۗ﴾<sup>(١)</sup>، والملك العظيم إشارة إلى ملك داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

طعن اليهود في نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالوا: لو كان نبياً ما اشتغل بالسياسة والحكم، ولا أدخل اليهود (في المدينة) تحت طاعته، أي: تحت طاعة الدولة الإسلامية في الأحكام العامة، ولا عقد معهم المعاهدات. أليس منطق العلمانيين اليوم (وأمثالهم) هو منطق أهل الكتاب؟! هؤلاء الذين كرهوا ما أنزل الله، وزين لهم الشيطان باطلهم، هؤلاء يشنعون على المسلمين أنهم يشتغلون بالسياسة، ويدخلون الدين في السياسة، والدين - في نظرهم - أسمى وأقدس من أن ينزل إلى دهاليز السياسة، ووحلها ومناوراتها، وكأنهم في الظاهر يحترمون الإسلام ويعظمونه؛ ولكنه في الحقيقة المكر الذي تعلموه من أسلافهم، ولذلك اخترعوا مصطلح (الإسلام السياسي)، وكأن هناك إسلاماً اجتماعياً وإسلاماً اقتصادياً، وإسلاماً فقهياً... وهذه تجزئة غير بريئة، وهم ممن يجعل القرآن عضين، والحقيقة أن الإسلام كلُّه لا يتجزأ، وهو لا يدخل في السياسة إذا كانت تعني: الدجل والكذب والخداع.

(١) سورة النساء.



السياسة علمٌ وتجربة، وليست انتهازية تنقض العهود والوعود، فالسياسة التي تبتعد عن الأخلاق وتمارس الشر فإنها سوف تدمر نفسها في النهاية، والذين أرخوا للحضارات وتحدثوا عن سقوط الأمم فإنهم يعزّون السبب الأكبر لهذا السقوط إلى انحطاط الأخلاق. يقول الشيخ محمد عبد الله دراز: "من المُشاهد أنّ حكماً علمانياً يمكن أن يستمر ويزدهر بالاتحاد والعدالة أكثر من حكم أدياء الإيمان إذا ما ركنوا إلى الأخلاق المنحلة وإلى الفوضى والعصيان".

السياسة الإسلامية هي معرفة الحقوق والواجبات ومعرفة سنن الله سُبحانه وتعالى في التقدم والتأخر، وهي السياسة اليقظة التي لا تنسى ولا تغفل عن دروس التاريخ، ولا تغفل عن مصارحة الأمة بأدائها ولا إيهامها بما ليس محققاً، فإذا كان خطأ الجاهل بالطب يودي بحياة شخص واحد فإن خطأ السياسي يودي بحياة أمة!

**المشرف العام**

ولكن الإسلام من يوم أن بُعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُدِّر له أن يكون نظاماً ينشر رحمة وعدلاً، ويقيم أمة وحكماً، ولا تعريف له إلا (الإسلام) الذي هو هداية للبشرية في كل عصر، وكل مكان، وهو هوية الأمة، ولا هوية لها غيره، وهو حضارتها وثقافتها، وهو عقيدتها وشريعته. وكل محاولة لتجزئة الإسلام داخل إطار معين هي محاولة فاشلة، وإن كانت ماكرة.

لماذا لا يبيح العلمانيون بمكنون صدورهم، وتكون عندهم الشجاعة لأن يصرّحوا بما في نفوسهم؟



**ليس هناك إسلام سياسي ولكن هناك سياسة إسلامية تركز إلى المبادئ والأخلاق، ومن خلال المبادئ يمكننا الاجتهاد ضمن الظروف المحيطة بنا..**



ليس هناك إسلام سياسي ولكن هناك سياسة إسلامية تركز إلى المبادئ والأخلاق، ومن خلال المبادئ يمكننا الاجتهاد ضمن الظروف المحيطة بنا، وعندما نحيا مع المبادئ يمكننا مواجهة آلاف التحديات والمتغيرات، وعندئذ يكون البحث عن المصالح العامة وليس المصالح الشخصية.

# ورود كلمة بينات في آيات القرآن البينات

د. كامل صبحي صلاح

الكريم الذي يحتوي على كنوز من العلوم والمعارف، وكيف لا يكون كذلك وهو من لدن حكيم خبير؟ جلت قدرته، وتعالى أسماؤه وصفاته، وعظمت آياته الباهرة الزاهرة، فهو كلام ربنا جلّ وعلا، وهو دستورنا في طريقنا لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وثانياً من أسباب هذا الجمع المبارك نشره في (مجلة بينات) التابعة للرابطة المباركة - رابطة علماء المسلمين -.

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يجعله عملاً مباركاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

وقبل بيان وسوق الآية البينات، لا بد من ذكر معنى البينات لغة واصطلاحاً.

- البَيِّنَةُ لغة: الحجة، والبرهان، والدليل.
- البينات اصطلاحاً: هي الحجج والأدلة والبراهين الواضحة الدالة على شيء ما، عامّاً كان أم خاصّاً.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فقد قمت - بعون الله تعالى - باستقراء الآيات التي نصت على كلمة **بَيِّنَات** في القرآن الكريم؛ فوجدت أنها وردت في أربع وخمسين موضعاً في عدة صيغ، هي: (**بَيِّنَةٌ، بَيِّنَةٌ، بَيِّنَةٌ، مَبْيِّنَةٌ، لَنُبَيِّنَنَّ، بَيِّنَاتٍ، البَيِّنَاتِ**).

ومن المعلوم أن لفظ **البَيِّنَةُ** هو اسم سورة من سور القرآن الكريم، وهي السُّورَةُ رَقْم (٩٨) في ترتيب المصحف، وهي سورة مدنيّة، عدد آياتها ثماني آيات.

ومن باب تمام الفائدة ذكرت تفسيراً مختصراً لهذه الآيات التي تم إيرادها في هذا البحث.

ولعل السبب الرئيس أولاً لكتابة هذا البحث هو بيان شيء من إعجاز وبلاغة القرآن

وإليكم الآيات القرآنية النصية والمنطوقة لفظ البيئات وصيغها:

■ ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة البقرة]

سل - أيها الرسول - بني إسرائيل المعاندين لك: كم أعطيناكم من آيات واضحة في كتبهم تهديهم إلى الحق، فكفروا بها كلها، وأعرضوا عنها، وحرفوها عن مواضعها. ومن يبدل نعمة الله - وهي دينه - ويكفر بها من بعد معرفتها، وقيام الحجة عليه بها، فإن الله تعالى شديد العقاب له.

■ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَاهُمْ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء]

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يجوز لكم أن ترثوا نساء آبائكم كما يورث المال، وتتصرفوا فيهن بالزواج بهن، أو تزويجهن ممن تشاؤون، أو منعهن من الزواج. ولا يجوز لكم إمساك أزواجكم اللاتي تكرهونهن للإضرار بهن، حتى يتنازلن لكم عن بعض ما أعطيتموهن من مهر وغيره، إلا أن يرتكبن فاحشة واضحة كالزنا، فإذا فعلن ذلك جاز لكم إمساكهن والتضييق عليهن حتى يفتردين منكم بما أعطيتموهن، وصاحبوا نساءكم صعبة

طيبة، بكف الأذى وبذل الإحسان، فإن كرهتموهن لأمر دنيوي فاصبروا عليهن، فلعل الله يجعل فيما تكرهون خيراً كثيراً في الحياة الدنيا والآخرة.

\* من فوائد الآية:

• ارتكاب فاحشة الزنا من أكثر المعاصي خطراً على الفرد والمجتمع، ولهذا جاءت العقوبات عليها شديدة.

• لطف الله ورحمته بعباده حيث فتح باب التوبة لكل مذنب، ويسر له أسبابها، وأعانها على سلوك سبيلها.

• كل من عصى الله تعالى بعمد أو بغير عمد فهو جاهل بقدر من عصاه جَلَّ وَعَلَا، وجاهل بآثار المعاصي وشؤمها عليه.

• من أسباب استمرار الحياة الزوجية أن يكون نظر الزوج متوازناً، فلا يحصر نظره فيما يكره، بل ينظر أيضاً إلى ما فيه من خير وقد يجعل الله فيه خيراً كثيراً.

■ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [سورة الأنعام]

قل - أيها الرسول لهؤلاء المشركين -: إني على بصيرة واضحة من شريعة الله التي أوحاها إلي، وذلك بإفراده وحده بالعبادة، وقد كذبتكم بهذا، وليس في قدرتي إنزال العذاب الذي تستعجلون به، وما الحكم في تأخر ذلك إلا إلى الله تعالى، يقض الحق، وهو خير من يفصل بين الحق والباطل بقضائه وحكمه.



■ ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام]

وكما بيّنا في هذا القرآن للمشركين البراهين الظاهرة في أمر التوحيد والنبوة والمعاد نبين لهم البراهين في كل ما جهلوه فيقولون عند ذلك كذباً: تعلمت من أهل الكتاب، **ولنبين - بتصرفنا الآيات - الحق** لقوم يعلمونه، فيقبلونه ويتبعونه، وهم المؤمنون برسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أنزل عليه.

■ ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [سورة الأنعام]

ولئلا تقولوا - أيها المشركون - : لو أننا أنزل علينا كتاب من السماء، كما أنزل على اليهود والنصارى، لكننا أشد استقامة على طريق الحق منهم، فقد جاءكم كتاب بلسانكم العربي المبين، **وذلك حجة واضحة من ربكم**، وإرشاد إلى طريق الحق، ورحمة لهذه الأمة. فلا أحد أشد ظلماً وعدواناً ممن كذب بحجج الله تعالى وأعرض عنها! فهؤلاء المعرضون سنعاقبهم عقاباً شديداً في نار جهنم بسبب إعراضهم عن آياتنا، وصدّهم عن سبيلنا.

■ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ

لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ ط وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾ [سورة الأعراف]

ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً لما عبدوا الأوثان من دون الله تعالى. فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره **جَلَّ وَعَلَا**، فأخلصوا له العبادة، قد جئتمكم **بالبرهان على صدق ما أدعوكم إليه**، إذ دعوت الله أمامكم، فأخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة كما سألتم، فاتركوها تأكل في أرض الله من المراعي، ولا تتعرضوا لها بأي أذى، فيصيبكم بسبب ذلك عذاب موجه.

■ ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف]

ولقد أرسلنا إلى قبيلة (مدین) أخاهم شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره **جَلَّ وَعَلَا** فأخلصوا له العبادة، قد جاءكم **برهان من ربكم على صدق ما أدعوكم إليه**، فأدوا للناس حقوقهم بإيفاء الكيل والميزان، ولا تنقصوهم حقوقهم فتظلموهم، ولا تفسدوا في الأرض - بالكفر والظلم - بعد إصلاحها بشرائع الأنبياء السابقين



عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم، إن كنتم مصدقيي فيما دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله.

■ ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٠٥﴾ [سورة الأعراف]

جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق، وحري بي أن ألتزمه، قد جئتكم ببرهان وحجة باهرة من ربكم على صدق ما أذكره لكم، فأطلق - يا فرعون - معي بني إسرائيل من أسرك وقهرك، وخلّ سبيلهم لعبادة الله.

■ ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَن حَىٰ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤٤﴾ [سورة الأنفال]

واذكروا حينما كنتم على جانب الوادي الأقرب إلى (المدينة)، وعدوكم نازل بجانب الوادي الأقصى، وعير التجارة في مكان أسفل منكم إلى ساحل (البحر الأحمر)، ولو حاولتم أن تضعوا موعداً لهذا اللقاء لاختلفتم، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ليقضي أمراً كان مفعولاً بنصر أوليائه، وخذلان أعدائه بالقتل والأسر وذلك ليهلك من هلك منهم عن حجة لله ثبتت له فعابنها وقطعت عذره، وليحيا من حي عن حجة لله قد ثبتت وظهرت له. وإن الله لسميع لأقوال الفريقين، لا يخفى عليه شيء، عليم بنياتهم.

■ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّن الْأَحْزَابِ فَآلْتَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [سورة هود]

■ ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة هود]

قالوا: يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعوننا إليه، وما نحن بتاركي آلهتنا التي نعبدها من أجل قولك، وما نحن بمصدقين لك فيما تدعيه.

■ ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة هود]

قال صالح لقومه: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من الله وآتاني منه النبوة والحكمة، فمن الذي يدفع عني عقاب الله تعالى إن عصيته فلم أبلغ الرسالة وأنصح لكم؟ فما تزيدونني غير تضليل وإبعاد عن الخير.

■ ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة هود]

قال شعيب: يا قوم أرايتم إن كنت على طريق واضح من ربي فيما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة له، وفيما أناهاكم عنه من إفساد المال، ورزقني منه رزقاً واسعاً حلالاً طيباً؟ وما أريد أن أخالفكم فأرتكب أمراً نهيتكم عنه، وما أريد فيما أمركم به وأناهاكم عنه إلا إصلاحكم قدر طاقتي واستطاعتي، وما توفيقني - في إصابة

أفمن كان على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به، ويدعو إليه بالوحي الذي أنزل الله فيه هذه البينة، ويتلوها برهان آخر شاهد منه، وهو جبريل أو محمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ويؤيد ذلك برهان ثالث من قبل القرآن، وهو التوراة - الكتاب الذي أنزل على موسى إماماً ورحمة لمن آمن به -، كمن كان همه الحياة الفانية بزینتها؟ أولئك يصدقون بهذا القرآن ويعملون بأحكامه، ومن يكفر بهذا القرآن من الذين تحزبوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجزأوه النار، يردها لا محالة، فلا تك - أيها الرسول - في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله تعالى بعد ما شهدت بذلك الأدلة والحجج، واعلم أن هذا الدين هو الحق من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدقون ولا يعملون بما أمروا به. وهذا توجيه عام لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

■ ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآتَنِي مِنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاغِرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة هود]

قال نوح: يا قومي أرايتم إن كنت على حجة ظاهرة من ربي فيما جئتكم به تبين لكم أنني على الحق من عنده، وآتاني رحمة من عنده، وهي النبوة والرسالة فأخفاها عليكم بسبب جهلكم وغروركم، فهل يصح أن نلزمكم إياها بالإكراه وأنتم جاحدون بها؟ لا نفعل ذلك، ولكن نكل أمركم إلى الله حتى يقضي في أمركم ما يشاء.

ولقد أعطينا موسى التوراة، وأتبعناه برسل من بني إسرائيل، وأعطينا عيسى ابن مريم **المعجزات الواضحات**، وقويناه بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. أفكلما جاءكم رسول بوحى من عند الله لا يوافق أهواءكم، استعلتكم عليه، فكذبتم فريقاً وتقتلون فريقاً؟

■ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة البقرة]

ولقد جاءكم نبي الله موسى **بالمعجزات الواضحات الدالة على صدقه**، كالطوفان والجراد والقمل والضفادع، وغير ذلك مما ذكره الله في القرآن العظيم، ومع ذلك اتخذتم العجل معبوداً، بعد زهاب موسى إلى ميقات ربه، وأنتم متجاوزون حدود الله تعالى.

■ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة البقرة]

ولقد أنزلنا إليك - أيها الرسول - آيات **بينات واضحات** تدل على أنك رسول من الله صدقاً وحقاً، وما ينكر تلك الآيات إلا الخارجون عن دين الله.

■ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [سورة البقرة]

إن الذين يُخفون ما أنزلنا من الآيات **الواضحات الدالة على نبوة محمد**

الحق ومحاولة إصلاحكم - إلا بالله، على الله وحده توكلت وإليه أرجع بالتوبة والإنابة.

■ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ أَوْ لَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [سورة طه]

وقال مكذبوك - أيها الرسول -: هلا تأتينا بعلامة من ربك تدل على صدقك، أولم يأتيهم هذا القرآن **المُصدّق** لما في الكتب السابقة من الحق؟

■ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [سورة البينة]

لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين تاركين كفرهم حتى تأتيهم **العلامة التي وعدوا بها في الكتب السابقة**.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [سورة البينة]

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى في كون محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولا حقاً لما يجدونه من نعتة في كتابهم، إلا من بعد ما تبينوا أنه النبي الذي وعدوا به في التوراة والإنجيل، فكانوا مجتمعين على صحة نبوته، فلما بُعث جدها وتفرقوا.

■ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة]

فإن انحرفتم عن طريق الحق، من بعد ما جاءتكم **الحجج الواضحة من القرآن والسنة**، فاعلموا أن الله عزيز في ملكه لا يفوته شيء، حكيم في أمره ونهيه، يضع كل شيء في موضعه المناسب له.

■ ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة البقرة]

كان الناس جماعة واحدة، متفقين على الإيمان بالله ثم اختلفوا في دينهم، فبعث الله النبيين دعاة لدين الله، مبشرين من أطاع الله بالجنة، ومحذرين من كفر به وعصاه النار، وأنزل معهم الكتب السماوية بالحق الذي اشتملت عليه ليحكموا بما فيها بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف في أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابه ظلماً وحسداً إلا الذين أعطاهم الله التوراة، وعرفوا ما فيها من **الحجج والأحكام**، فوفق الله المؤمنين بفضله إلى تمييز الحق من الباطل، ومعرفة ما اختلفوا فيه. والله يوفق من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم.

■ ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به، وهم أحبار اليهود وعلماء النصارى وغيرهم ممن يكتم ما أنزل الله من بعد ما أظهرناه للناس في التوراة والإنجيل، أولئك يطردهم الله من رحمته، ويدعو عليهم باللعنة جميع الخليقة.

■ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة]

شهر رمضان الذي ابتداء الله فيه إنزال القرآن في ليلة القدر هداية للناس إلى الحق، فيه **أوضح الدلائل على هدى الله، وعلى الفارق بين الحق والباطل**. فمن حضر منكم الشهر وكان صحيحاً مقيماً فليصم نهاره. ويُرخَّص للمريض والمسافر في الفطر، ثم يقضيان عدد تلك الأيام. يريد الله تعالى بكم اليسر والسهولة في شرائعه، ولا يريد بكم العسر والمشقة، ولتكمّلوا عدة الصيام شهراً، ولتختتموا الصيام بتكبير الله في عيد الفطر، ولتعظموه على هدايته لكم، ولكي تشكروا له على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق والتمسير.

■ ﴿فَإِن زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة]

كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً جحدوا نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد إيمانهم به، وشهدوا أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق وما جاء به هو الحق، وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل **بصحة ذلك؟** والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة، وهم الذين عدلوا عن الحق إلى الباطل، فاختاروا الكفر على الإيمان.

■ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أُسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران]

في هذا البيت دلالات **ظاهرات** أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظّمه وشرفه، منها: مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو الحجر الذي كان يقف عليه حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسماعيل، ومن دخل هذا البيت آمن على نفسه فلا يناله أحد بسوء. وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قصد هذا البيت لأداء مناسك الحج. ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجّه وعمله، وعن سائر خلقه.

■ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران]

ولا تكونوا - أيها المؤمنون - كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء فتفرّقوا شيعاً وأحزاباً، واختلفوا في أصول

مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٥٣﴾ [سورة البقرة]

هؤلاء الرسل الكرام فضل الله بعضهم على بعض، بحسب ما من الله به عليهم: فمنهم من كلمه الله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وفي هذا إثبات صفة الكلام لله عزَّجَلَّ على الوجه اللائق بجلاله، ومنهم من رفعه الله درجاتٍ عاليةً كمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعموم رسالته، وختم النبوة به، وتفضيل أمته على جميع الأمم، وغير ذلك. وآتى الله تعالى عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ **البيّنات المعجزات الباهرات**، كإبراء من ولد أعمى بإذن الله تعالى، ومن به برص بإذن الله، وكإحيائه الموتى بإذن الله، وأيده بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. ولو شاء الله ألا يقتتل الذين جاؤوا من بعد هؤلاء الرسل من بعد ما جاءتهم **البيّنات** ما اقتتلوا، ولكن وقع الاختلاف بينهم: فمنهم من ثبت على إيمانه، ومنهم من أصر على كفره. ولو شاء الله بعد ما وقع الاختلاف بينهم - الموجب للاقتتال - ما اقتتلوا، ولكن الله يوفق من يشاء لطاعته والإيمان به، ويخذل من يشاء، فيعصيه ويكفر به، فهو يفعل ما يشاء ويختار.

■ ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة آل عمران]

دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذاب عظيم موجه.

■ ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ الْيَتَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة آل عمران]

هؤلاء اليهود حين دُعوا إلى الإسلام قالوا: إن الله أوصانا في التوراة ألا نصدق من جاءنا يقول: إنه رسول من الله، حتى يأتينا بصدقة يتقرب بها إلى الله، فتنزل نار من السماء فتحرقها. قل لهم - أيها الرسول -: أنتم كاذبون في قولكم لأنه قد جاء آباءكم رسولٌ من قبلي بالمعجزات والدلائل على صدقهم، وبالذي قلتم من الإتيان بالقربان الذي تأكله النار، فلم قتل آباؤكم هؤلاء الأنبياء إن كنتم صادقين في دعواكم؟

■ ﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران]

فإن كذبك - أيها الرسول - هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكفر، فقد كذب المبتلون كثيراً من المرسلين من قبلك، جاءوا أقوامهم بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات، والكتب السماوية التي هي نور يكشف الظلمات، والكتاب البين الواضح.

■ ﴿سَأَلْنَا أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مِثْلَ مَا نُنَزِّلُ لِنَنظُرَ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَمْ لَا لَئِن لَّمْ يَآتِنَا بِبَيِّنَاتٍ مِّن لَّدُنكَ أَتَيْنَا بِهَا سَوَاءً لَو كُنَّا بِلَيْسَانِكُمْ أَتَيْنَا بِهَا سَوَاءً ﴿٨٠﴾﴾ [سورة آل عمران]

بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة النساء]

يسألك اليهود - أيها الرسول - معجزة مثل معجزة موسى تشهد لك بالصدق: بأن تنزل عليهم صُحُفًا من الله مكتوبة، مثل مجيء موسى بالألواح من عند الله، فلا تعجب - أيها الرسول - فقد سأل أسلافهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما هو أعظم: سألوه أن يريهم الله علانية، فصُعبوا بسبب ظلمهم أنفسهم حين سألوهم أمراً ليس من حقهم. وبعد أن أحياهم الله بعد الصعق، وشاهدوا الآيات البينات على يد موسى القاطعة بنفي الشرك، عبدوا العجل من دون الله، فعفونا عن عبادتهم العجل بسبب توبتهم، وآتيناهم موسى حجة عظيمة تؤيد صدق نبوته.

■ ﴿مِن أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة المائدة]

بسبب جناية القتل هذه شرعنا لبني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد، الموجب للقتل كالشرك والمحاربة فكأنما قتل الناس جميعاً فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله، وأنه من امتنع عن قتل نفس حرمها الله فكأنما أحيانا الناس جميعاً فالحفاظ على

حرمة إنسان واحد حفاظ على حرمت الناس كلهم. ولقد أتت بني إسرائيل رسلنا بالحجج والدلائل على صحة ما دعوهم إليه من الإيمان بربهم، وأداء ما فرض عليهم، ثم إن كثيراً منهم بعد مجيء الرسل إليهم لتجاوزون حدود الله بارتكاب محارم الله وترك أوامره.

■ **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَظْفَارِ وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِأَظْفَارِ وَإِذْ مَخْرَجُ الْمَوْتَىٰ بِأَظْفَارِ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٦﴾ [سورة المائدة]**

■ **﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [سورة الأعراف]**

■ **﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا**

تلك القرى التي تقدّم ذكرها، وهي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، نقص عليك - أيها الرسول - من أخبارها، وما كان من أمر رسل الله التي أرسلت إليهم، ما يحصل به عبرة للمعتبرين وازدجار للظالمين. ولقد جاءت أهل القرى رسلنا بالحجج البينات على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب طغيانهم وتكذيبهم بالحق، ومثل حتم الله على قلوب هؤلاء الكافرين المذكورين يختم الله على قلوب الكافرين بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

■ **﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا**



كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ [سورة التوبة]

إليه، فما كانوا ليصدّقوا ويعملوا بما كذب به قوم نوح ومن سبقهم من الأمم الخالية. وكما ختم الله على قلوب هؤلاء الأقوام فلم يؤمنوا، كذلك يختم على قلوب من شابههم ممن بعدهم من الذين تجاوزوا حدود الله، وخالفوا ما دعاهم إليه رسلهم من طاعته عقوبة لهم على معاصيهم.

■ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [سورة إبراهيم]

ألم يأتكم - يا أمة محمد - خبر الأمم التي سبقتكم، قوم نوح وقوم هود وقوم صالح، والأمم التي بعدهم، لا يحصي عددهم إلا الله، جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحات، فعضوا أيديهم غيظاً واستنكافاً عن قبول الإيمان، وقالوا لرسولهم: إنا لا نصدّق بما جئتمونا به، وإنا لفي شكٍّ مما تدعوننا إليه من الإيمان والتوحيد موجب للريبة.

■ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل]

وأرسلنا الرسل السابقين **بالدلائل الواضحة** وبالكتب السماوية، وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن لتوضح للناس ما خفي من معانيه وأحكامه، ولكي يتدبروه ويهتدوا به.

ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الذين مضوا من قوم نوح وقبيلة عاد وقبيلة ثمود وقوم إبراهيم وأصحاب (مدين) وقوم لوط عندما جاءهم المرسلون **بالوحي وبآيات الله** فكذبوهم؟ فأنزل الله بهؤلاء جميعاً عذابه انتقاماً منهم لسوء عملهم، فما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالتكذيب والمخالفة.

■ ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة يونس]

ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم - أيها المشركون بربهم - لما أشركوا، وجاءتهم رسلهم من عند الله **بالمعجزات الواضحات والحجج التي تبين صدق من جاء بها**، فلم تكن هذه الأمم التي أهلكناها لتصدق رسلها وتنقاد لها، فاستحقوا الهلاك، ومثل ذلك الإهلاك نجزي كل مجرم متجاوز حدود الله.

■ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة يونس]

ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى أقوامهم (هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وغيرهم) فجاء كل رسول قومه **بالمعجزات الدالة على رسالته، وعلى صحة ما دعاهم**

وبنوا القصور وسكنوها، فعَمَرُوا دنياهم أكثر مما عَمَرَ أهل (مكة) دنياهم، فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم، وجاءتهم رسلهم **بالحجج الظاهرة والبراهين الساطعة**، فكذبوهم فأهلكهم الله، ولم يظلمهم الله بذلك الإهلاك، وإنما ظلموا أنفسهم بالشرك والعصيان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم]

ولقد أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً إلى قومهم مبشرين ومنذرين يدعونهم إلى التوحيد، ويحذرونهم من الشرك، فجاءوهم **بالمعجزات والبراهين الساطعة**، فكفر أكثرهم بربهم، فانتقمنا من الذين اكتسبوا السيئات منهم، فأهلكناهم، ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل، وكذلك نفعل بالمكذابين بك إن استمروا على تكذيبك، ولم يؤمنوا.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [سورة فاطر]

وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم الذين جاؤوهم **بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم**، وجاءوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ وَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة غافر]

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [سورة طه]

قال السحرة لفرعون: لن نفضلك، فنطيعك، ونتبع دينك، على ما جاءنا به موسى من **البيانات الدالة على صدقه ووجوب متابعتة وطاعة ربه**، ولن نُفْضِلَ ربوبيتك المزعومة على ربوبية الله الذي خلقنا، فافعل ما أنت فاعل بنا، إنما سلطانك في هذه الحياة الدنيا، وما تفعله بنا، ما هو إلا عذاب منته بانتهائها.

﴿وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [سورة العنكبوت]

وأهلكنا قارون وفرعون وهامان، ولقد جاءهم جميعاً موسى **بالأدلة الواضحة**، فتعاضموا في الأرض، واستكبروا فيها، ولم يكونوا ليفوتونا، بل كنا مقتدرين عليهم.

﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الروم]

أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة في الأرض سير تامل واعتبار، فيشاهدوا كيف كان جزاء الأمم الذين كذبوا برسول الله كعاد وثمود؟ وقد كانوا أقوى منهم أجساماً، وأقدر على التمتع بالحياة حيث حرثوا الأرض وزرعوها،

ذلك العذاب الذي حلَّ بالمكذبين السابقين، كان بسبب موقفهم من رسل الله الذين جاؤوا **بالدلائل القاطعة على صدق دعواهم**، فكفروا بهم، وكذبوهم، فأخذهم الله بعقابه، إنه سبحانه قوي لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن كفر به وعصاه.

■ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [سورة غافر]

■ ﴿قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلِكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَاذْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [سورة غافر]

قال خزنة جهنم لهم توبيخاً: هذا الدعاء لا ينفعكم في شيء، أولم تأتكم رسلكم **بالحجج الواضحة من الله** فكذبتموهم؟ فاعترف الجاحدون بذلك وقالوا: بلى. فتبرأ خزنة جهنم منهم وقالوا: نحن لا ندعو لكم، ولا نشفع فيكم، فادعوا أنتم، ولكن هذا الدعاء لا يغني شيئاً لأنكم كافرون. وما دعاء الكافرين إلا في ضياع لا يقبل، ولا يستجاب.

وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون، يكتُم إيمانه منكرًا على قومه: كيف تستحلون قتلَ رجل لا جرم له عندكم إلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم **بالبراهين القاطعة من ربكم على صدق ما يقول؟** فإن يك موسى كاذباً فإن وبال كذبه عائد عليه وحده، وإن يك صادقاً لحقكم بعض الذي يتوعدكم به، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز للحد، بترك الحق والإقبال على الباطل، كذاب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله.

■ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة غافر]

قل - أيها الرسول - لمشركي قومك: إنني نُهِيتُ أن أعبد الذين تدعون من دون الله، لَمَّا جَاءَنِيَ **الآيات الواضحات** من عند ربي، وأمرني أن أخضع وأنقاد بالطاعة التامة له، سبحانه رب العالمين.

■ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زَلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [سورة غافر]

■ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة غافر]

ولقد أرسل الله إليكم النبيَّ الكريم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل موسى، **بالدلائل الواضحة على صدقه**، وأمركم

فلما جاءت هؤلاء الأمم المكذبة رسلها بالدلائل الواضحات، فرحوا جهلاً منهم بما عندهم من العلم المناقض لما جاءت به الرسل، وحل بهم من العذاب ما كانوا يستعجلون به رسلهم على سبيل السخرية والاستهزاء. وفي الآية دليل على أن كل علم يناقض الإسلام، أو يقدر فيه، أو يشكك في صحته، فإنه مذموم ممقوت، ومعتقده ليس من أتباع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

■ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة الصف]

■ ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الَّذِي﴾ [سورة الزخرف]

ولما جاء عيسى بنى إسرائيل بالبينات الواضحات من الأدلة قال: قد جئتكم بالنبوة، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين، فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من تقوى الله وطاعته.

■ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحديد]

■ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة التغابن]

لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة، وليعلم ذلك الذي أصابهم في الدنيا، وما يصيبهم في الآخرة بسبب أنهم كانت تأتيهم رسل الله بالآيات البينات والمعجزات الواضحات، فقالوا منكرين: أبشر مثلنا يرشدوننا؟ فكفروا بالله وجحدوا رسالة رسله، وأعرضوا عن الحق فلم يقبلوه. واستغنى الله، والله غني، له الغنى التام المطلق، حميد في أقواله وأفعاله وصفاته لا يبالي بهم، ولا يضره ضلالهم شيئاً.

# لمحات وتبصّرات وعقبات في طريق العلماء والدعاة (٢)



## د. حكمت أحمد الحريري

على بعض في الدنيا؛ فمنهم الغني والفقير وبين ذلك، والحسن والقبيح وبين ذلك، ومن يموت صغيراً ومن يعمر حتى يبقى شيخاً كبيراً وبين ذلك (٢).

وعطاء الله تعالى للمؤمن والكافر لا بد له من الأخذ بالأسباب المؤدية لذلك، حيث بين لنا سبحانه وتعالى في قصة نبي القرنين: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ (٣).

ولكي لا يغتر الكفرة بما آتاهم الله من متاع الدنيا وزخرفها، ولئلا يخدع بعض المؤمنين بما يمد الله به المشركين من أسباب الدنيا قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ

(٢) انظر: تفسير الآيات في تفسير ابن كثير والبيضاوي وابن جزي.

(٣) سورة الكهف.

## وما كان عطاء ربك محظوراً:

إن هذه الدنيا بمتاعها وزخرفها يعطيها الله تعالى لمن يشاء أن يعطيه فيها إذا أخذ بالأسباب المؤدية إلى ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمِدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ (١).

فالله تعالى المتصرف الحاكم الذي لا يجور، يعطي كلاً ما يستحقه من الشقاوة والسعادة، ولا راد لحكمه، ولا مانع لما أعطى، ولا مغير لما أراد، ولهذا قال: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ أي ممنوعاً أو منقوصاً. انظر كيف فضل بعضهم

(١) سورة الإسراء.

إن الروم في زماننا قد أخذوا بأسباب التمكين والظهور والغلبة في الدنيا من خلال العدل الذي أقاموه بينهم وحسن معالجتهم للأموار وصدقهم في دنياهم. وتأمل فيما يلي من ذكر الخصال التي توفرت فيهم حتى يكونوا أكثر الناس. عن المستورد ابن شداد الفهري: "تقوم الساعة والروم أكثر الناس". فقال له عمرو بن العاص: "أبصر ما تقول"، فقال: أقول ما سمعت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال: "لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصلاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة وأسرعهم إفاقة عند مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ویتیم وضعیف، وخامسة حسنة وجميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك"<sup>(٢)</sup>. ولا أدل على صحة وصدق ما ذكرناه مما هو واقع اليوم، فما من يوم يمضي إلا وتنقل وسائل الأخبار عن لجوء العشرات بل المئات إلى دول أوروبا، وصار الروم هم الذين يدافعون عن حقوق الإنسان ظاهراً! بل هم الوسطاء الذين يصلحون بين الفئات المختلفة في بلاد المسلمين؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها:**

إن التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المعاصي هي من الأمانة التي حملها الإنسان، وليست الأمانة مقتصرة على

أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾<sup>(١)</sup>

**إن الروم في زماننا قد أخذوا بأسباب التمكين والظهور والغلبة في الدنيا من خلال العدل الذي أقاموه بينهم وحسن معالجتهم للأموار وصدقهم في دنياهم.**

فالكفار قاسوا أمر الدنيا على الآخرة وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذبهم في الآخرة. فرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلق بمشيئة الله تعالى، فقد يوسع الله على الكافر وعلى العاصي ويضيق على المؤمن والمطيع والعكس أيضاً، فليس في ذلك دليل على أمر الآخرة.

(١) سورة سبأ.

(٢) صحيح مسلم رقم ٢٨٩٨.

لكن المتأمل في واقع الناس اليوم يرى الخلل في تحمل الأمانة ويلاحظ الخيانة في الأمانة، ومُؤدَّى هذا إلى فساد الحياة وفقدان الأمن وعدم الاستقرار؛ لأن من الخيانة عدم تحمل المسؤولية وأخذ الإنسان ما ليس له بحق، وما أكثر حصول هذا ووقوعه في بلادنا! وهذا من علامات الساعة.



**المتأمل في واقع الناس اليوم يرى الخلل في تحمل الأمانة ويلاحظ الخيانة في الأمانة، ومُؤدَّى هذا إلى فساد الحياة وفقدان الأمن وعدم الاستقرار؛ لأن من الخيانة عدم تحمل المسؤولية وأخذ الإنسان ما ليس له بحق، وما أكثر حصول هذا ووقوعه في بلادنا! وهذا من علامات الساعة.**



وفي الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة))، قيل يا رسول الله: وما الرويبضة؟ قال: ((الرجل التافه يتكلم في أمر العامة))<sup>(٤)</sup>.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٧٧.

الطاعات، بل هي شاملة لأمر الدنيا والدين؛ فالعلم أمانة في ذمة العلماء والدعاة، والعدل في الحكم والقضاء أمانة في ذمة القضاة والحكام، وحسن الإدارة أمانة في ذمة من يتولى مركزاً يعمل فيه جماعة من الناس، والجندي في معسكره، والعامل في مصنعه، والحرفي في حرفته، والعامل في خدمة سيده، والطالب في مدرسته، والمرأة في بيت زوجها. كل إنسان في المجتمع منوط به حمل الأمانة في الجهة التي هو فيها أياً كان مركزه ومكانته، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(١)</sup>، والمراد تعظيم شأن الأمانة وأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السماوات والأرض والجبال لأبين حملها وأشفقن منها وحملها الإنسان. أي التزام الإنسان القيام بالتكاليف مع شدة ذلك وصعوبته على الأجرام التي هي أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظالم جهول<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

التكاليف المتعلقة بالدنيا والآخرة هي من الأمانة التي أوجب الله تعالى على العباد أدائها وصيانتها والقيام بها حق قيام.

(١) سورة الأحزاب.

(٢) انظر: تفسير الآية في ابن جزي.

(٣) سورة النساء.

ولاحتيال بزعيم رهبان بابا النصرى، ويستقبلونه بالحفاوة والتكريم في الجزيرة العربية، ليس ببعيد عن مهبط الوحي في مكة المكرمة والمدينة المنورة! في الوقت الذي يضيق على العلماء بل يسجنون ويعذبون في سجون منفردة، ويمنعون من تعليم الناس والدعوة إلى الله والإيمان بالله وتوحيده سبحانه! الاحتفاء بالبابا النصراني تحت مسمى ودعوى التسامح وحرية التدين!



## أين التسامح وأين الحرية فيما نراه يحل بأهل الإيمان وعلماء الإسلام من الإهانة والتهجير والتشريد والتعذيب؟



أين التسامح وأين الحرية فيما نراه يحل بأهل الإيمان وعلماء الإسلام من الإهانة والتهجير والتشريد والتعذيب؟ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾. وهل يستوي عند العقلاء من يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً هو ومن يقول إن الله هو المسيح ابن مريم، ومن يقول إن الله ثالث ثلاثة أو يقول عزير ابن الله؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وعن حذيفة بن اليمان: حدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثين، فرأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر. حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ونزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة. ثم حدثنا عن رفعها قال: ((ينام الرجل نومة فتقبض الأمانة من قلبه؛ فيبقى أثرها مثل الوكت، ثم ينام الرجل نومة فتقبض الأمانة من قلبه؛ فيبقى أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك فتراه منتبراً وليس فيه شيء؛ فيصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، وحتى يقال للرجل: ما أجلده وأظرفه وأعقله! وليس في قلبه مثقال حبة خردل من خير)). ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيُّكم بايعته، لئن كان مؤمناً ليردنه على دينه، ولئن كان يهودياً أو نصرانياً ليردنه على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أباع إلا فلاناً وفلاناً<sup>(١)</sup>.

(غريب الألفاظ في الحديث: الوكت: الأثر اليسير. المجل: ارتفاع في الجلد يظهر في اليد أو الرجل يصير مثل القبة يمتلئ ماءً. ما أجلده: ما أقواه. ما أظرفه: ما أحسن وجهه وهيئته. ما أعقله: ما أقوى عقله وتفكيره. أتى علي زمان وما أبالي: الصدر الأول في ذلك الزمان لا أبالي في مبايعتي لأحد في البيع والشراء لاستقرار الأمانة).

إن مما يدمي القلب ويثير الحسرة ويهيج الأحزان والأشجان أن تقوم الاحتفالات، ويقوم الناس الرعاع بل أتباع الفتنة ومن هم يحسبون على القوم، يخرجون

(١) صحيح ابن حبان ٦٧٦٢.



# ماذا نفعل إذا تداعت علينا الأمم؟

## د. عادل حسن الحمد

وقد أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتداعي الأمم علينا، فقال: ((يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا))، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قَلَّةٌ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: ((بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَغُنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ))، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: ((حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)) (٣).

وإننا لنلاحظ اليوم بشكل واضح أن دول الغرب المتمثلة في أمريكا وأوروبا - ومعهم اليهود ومناقفو العرب وطغاة الحكام في بلاد المسلمين - قد أجمعوا أمرهم على محاربة الإسلام وعلماء المسلمين والمسلمين، وفرض العلمانية والفسق والفجور في مجتمعات المسلمين ومعاقبة

(٣) رواه أبو داود وأحمد.

عندما يخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأخبار المستقبلية الدالة على مراحل الضعف التي ستمر بها الأمة فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقصد بهذا الإخبار الاستسلام لها والرضا بها، لأن هذا يتنافى مع طبيعة الرسالة التي أرسل بها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (١)، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يندرنا بهذه الأخبار لنستعد لها ونتعامل معها وفق السنن الربانية، وخاصة سنة المدافعة، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

فلا يصح منا أن نذكر هذه الأخبار وننزلها على الواقع من غير ذكر سبل المواجهة والتغيير، خاصة مع حالة الإحباط التي يشعر بها كثير من الناس اليوم.

(١) سورة فاطر: ٢٤.

(٢) سورة البقرة.

لا يصح منا أن نذكر هذه الأخبار ونزلها على الواقع من غير ذكر سبل المواجهة والتغيير، خاصة مع حالة الإحباط التي يشعر بها كثير من الناس اليوم.

### ثالثاً: اثبت على دينك:

أكبر وسيلة تهزم بها الكفار هي ثباتك على الإسلام؛ لأنهم إنما يحاربوننا لصدنا عن دين الله، فإذا استجبنا لهم تحقق مقصدهم من صدنا عن الإسلام، وعاقبنا ربنا بنزع المهابة منا من صدور عدونا. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧)، فثباتك على الإسلام إحباط لحربهم ونجاة من أن تحشر معهم في جهنم، فانصر دينك بالثبات عليه.

### رابعاً: أظهر شعائر الإسلام:

إظهار شعائر الإسلام وإبرازها للناس نوع من الثبات على الدين، وتشجيع للآخرين على الثبات، ومقاومة للمنافقين الذين يريدون صد الناس عن الدين ونشر الفساد في الأرض، وإغاظة للكافرين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا

(٣) سورة البقرة.

كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حتى هُجِّر الناس من ديارهم وساحوا في الأرض يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً. فكيف نواجه هذا التداعي؟

يمكننا أن نواجه هذا التداعي بعدة طرق أذكر منها ما هو ميسر لعامة المسلمين من الرجال والنساء عسى الله أن يجعلنا من حماة دينه وينصر بنا الإسلام والمسلمين:

### أولاً: لا تكن من الغثاء:

بين لنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال الأمة عندما تتداعى عليها الأمم فقال: ((بَلْ أَنْتُمْ يَوْمِيذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كُغُثَاءِ السَّيْلِ))، فالعلة ليست في قلة العدد ولكن العلة في نوعية غالب الناس، وهم الغثاء. ومعنى الغثاء بينه الطيبي فقال: ((مَا يَحْمَلُهُ السَّيْلُ مِنْ رَبِدٍ وَوَسَخٍ، شَبَّهَهُمْ بِهِ لِقَلَّةِ شَجَاعَتِهِمْ، وَدَنَاءَةِ قَدْرِهِمْ، وَخَفَةِ أَحْلَامِهِمْ)) (١). فأعداد الأمة كثيرة جداً ولكن غالبيتها من هذا النوع، فلا تكن منهم.

### ثانياً: ارجع إلى دينك:

إذا كان الهدف من تداعي الأمم علينا هو إبعادنا عن الإسلام؛ وإذا كان السبب في الذل الواقع علينا هو بعدنا عن الإسلام، فالحل لمواجهة هذا التداعي علينا هو في العودة إلى الإسلام.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكَتُمْ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ)) (٢).

(١) مرقاة المفاتيح (٨ / ٣٣٦٦).

(٢) رواه أبو داود.

ويخرج منه التشبث بالدنيا. ويتحقق هذا الإعمار بالقيام بالأعمال التي افترضها الله علينا من الشعائر التعبدية وأداء حقوق العباد ممن لهم حق علينا، ثم الازدياد من النوافل والأعمال التطوعية بمختلف أنواعها، فإذا فعل المسلم ذلك امتلاً قلبه بحب الآخرة، وقذف الله في قلوب الكفار الهيبة منه.



**إظهارك لشعائر الإسلام يغيظ الكفار، وإغاظة الكفار هو عمل صالح من جهة يجعله الله في موازين حسناتك، ومن جهة أخرى هو مقاومة للكفار والمنافقين وأعدائهم..**



**سادساً: انشر الخير بين الناس:**

كل إنسان يمتلك موهبة وله ميول، فاستثمر موهبتك وميولك في نشر الخير وربط الناس بربهم.

**سابعاً: اكشف سبل المجرمين:**

فضح مخططات الأعداء والكشف عن أسمائهم وحقيقتهم يحبط مؤامراتهم. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢).

**ثامناً: الدعاء على رموز الكفر والظلم والنفاق:**

أمرنا الله بقتال أئمة الكفر، فقال: ﴿وَإِنْ تَكُفُّوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا

(٢) سورة الأنعام.



مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ (١).

فإظهارك لشعائر الإسلام يغيظ الكفار، وإغاظة الكفار هو عمل صالح من جهة يجعله الله في موازين حسناتك، ومن جهة أخرى هو مقاومة للكفار والمنافقين وأعدائهم.

**خامساً: اعمر قلبك بحب الآخرة:**

من عوامل قوة المسلم في مواجهة تداعي الأمم عليه أن يعمر قلبه بحب الآخرة،

(١) سورة التوبة.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)) (٤).



**من عوامل قوة المسلم في مواجهة تداعي الأمم عليه أن يعمر قلبه بحب الآخرة، ويخرج منه التشبث بالدنيا. ويتحقق هذا الإعمار بالقيام بالأعمال التي افترضها الله علينا من الشعائر التعبدية وأداء حقوق العباد ممن لهم حق علينا، ثم الازدياد من النوافل والأعمال التطوعية بمختلف أنواعها، فإذا فعل المسلم ذلك امتلأ قلبه بحب الآخرة، وقذف الله في قلوب الكفار الهيبة منه.**



وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ)) (٥).

فإن عجزت عن الفعل فلا تعجز عن النية الصالحة الصادقة.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لنصرة دينه وإعلاء كلمته في الأرض.

(٤) رواه مسلم وأبو داود.

(٥) رواه النسائي.

فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٣﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ (١). فإذا عجزنا عن قتالهم، فهل

نعجز عن الدعاء عليهم، كما دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صناديد قري؟

ومثلهم المنافقون والظلمة الكبار الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، فهؤلاء يدعى عليهم حتى يريح الله العباد والبلاد منهم.

**تاسعاً: اعمل مع إخوانك:**

أمرنا الله تعالى بالعمل الجماعي فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٢)؛ فتعاون مع إخوانك في مواجهة أعداء الإسلام؛ فإن الاجتماع قوة والتفرق ضعف.

**عاشرًا: حدث نفسك بالأمور العظيمة:**

حتى لا تموت نفسك في زمن تداعي الأمم علينا، وتخاذل الكثيرين عن نصره الإسلام، حدث نفسك بالقيام بالأمور العظيمة التي لا يقوم بها إلا الصادقون مع الله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُغْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ)) (٣).

(١) سورة التوبة.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) رواه مسلم وأبو داود.

## PRAGMATISM

النفعية  
الإسلامية

## د. محمد العبدية

أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٥٠﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾<sup>(٣)</sup>.

إن من الحياة الطيبة: التمكين في الأرض، للصالحين ووفرة الخيرات في الأرض، والصحة النفسية التي تساعد على الصحة الجسدية، كما أن تطبيق الأوامر الشرعية فيه حياة للناس، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ يَّأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(١) سورة الأعراف.

(٢) سورة الأنبياء.

(٣) سورة النحل.

كانت السنة النبوية واضحة، وكان ما فقهه الجيل الأول من القرآن والسنة واضحاً: أن ثمرة العلم هو العمل والتطبيق في كل ما يحتاجه الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وكل ما يؤدي إلى السعادة في الآخرة. وهذا الاتجاه وهذا الفهم للدين يبعد الإنسان عن الخوض فيما لا ينفعه، أو ليس من اختصاصه أو قدرته، حتى لا يضيع وقته في جدل عقيم أو خيالات لا تسمن ولا تغني من جوع. وقد تعوَّذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه من علم لا ينفع.

وكانت توجيهات القرآن الكريم واضحة، فلم تقتصر الآيات على بيان الثواب أو العقاب في الآخرة، بل ذكرت آثار الإيمان ومنافعه في الدنيا قبل الآخرة، وحذرت من الكفر وعدم شكر النعم، وبينت أضرار ذلك في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ



أفاض القرآن الكريم في ذكر النعم الدنيوية التي حباها الله للإنسان كي يتمتع بها ويشكر الله عليها ويستفيد منها، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾، كما دعا الناس إلى التمتع بالطيبات، ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاقِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ حَذَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴿١٤﴾﴾، ففي هذه الآيات اتجاه إلى الطبيعة ورؤيتها والاستفادة منها، فالمسلم ليس في صراع مع الطبيعة كما في الثقافة الغربية، فالغايات العليا التي أرادها الله للإنسان لها ارتباط بالعلم المادي، ومن ثم لها بعدها النفعي.

(٧) سورة النحل.

(٨) سورة فاطر.

(٩) سورة النمل: ٦٠.

﴿١٧٩﴾<sup>(١)</sup>، وفي المقابل يقدم القرآن أمثلة عن آثار العمل الضار. ويصف الشقاء الذي يقع فيه الذين يبتعدون عن الإيمان والأعمال الصالحة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٥﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ومن آثار البعد عن الإيمان تمزق المجتمعات والفرقة والشقاق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾<sup>(٤)</sup>، وقد نعى الله سبحانه على المشركين أنهم يعبدون أوثاناً لا تضر ولا تنفع، وهذا يدل على منتهى الجهل وقلة العقل عند هؤلاء الأقسام، ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى عن قصة بني إسرائيل واتخاذهم العجل: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿١٨٩﴾﴾<sup>(٦)</sup>، وذلك لأن معيار النفع والضرر هو شيء فطري في الإنسان، فهو يختار ما ينفعه ويبتعد عما يضره، إلا إذا انحرفت فطرته فأصبح يميل إلى الأشياء الضارة.

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة طه.

(٣) سورة الأنعام.

(٤) سورة الجاثية.

(٥) سورة الأعراف.

(٦) سورة طه: ٨٩.

فذروه حتى يكون<sup>(٤)</sup>. ومن هذا الفقه العملي عند أئمة أهل السنة ما قاله الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: "وأكره أن ينسب أحد حتى يبلغ آدم، ولا إلى إبراهيم ومن يخبره من بينه وبين إبراهيم؟"<sup>(٥)</sup>، فهذا الإمام يرى أن الانشغال بأنساب غير مؤكدة هو من الترف الفكري الذي لا يغني شيئاً، وهو ينتقد الذين يذكرون النسب بالأسماء بين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.



**والمطلوب هو المعرفة النافعة التي تسهم بوضوح في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد أعطانا الله سبحانه وتعالى العقل والفكر لنستخدمهما فيما ينفع ويفيد ...**



ومن هذا الفقه قال الإمام مالك قولته المشهورة: "لا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل"، وقد أثنى القران الكريم كثيراً على الخاشعين في الصلاة، والمعرضين عن اللغو، والصابرين في البأساء والضراء، والآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، والمجاهدين في سبيل الله. وقد أكدت التوجيهات النبوية على هذا المنهج وأن على المسلمين ألا يخوضوا في أمور لا توصل إلى نتيجة، بل تؤدي بهم إلى الترف

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٢/٤٣٨.

(٥) ابن أبي زيد القيرواني، الجامع في السنن والآداب: ٢٥٩.

كان التوجيه القرآني والسنة النبوية نحو الاهتمام بالعمل وبالنتائج وليس بالبحث عما ليس في مكنة الإنسان، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿٤٣﴾<sup>(١)</sup>، فهذا سؤال عن وقتها، وهذا في علم الله وحده سبحانه، ولكن يكفي الانسان أن يعلم أنها واقعة، وأنها يوم الحساب، وعندما سئل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها قال للسائل: ((ماذا أعددت لها))، وذلك إعراضاً عن صريح سؤاله إلى ما يتعلق مما فيه فائدة للسائل، وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿٢﴾، وهذا يفيد أنهم لم يجابوا إلى سؤالهم وأن هذا مما لا يحتاج إليه في التكليف، وذلك لأن الغاية من الجهود التربوية في الإسلام أن تحصل الاستقامة، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾، والمطلوب هو المعرفة النافعة التي تسهم بوضوح في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد أعطانا الله سبحانه وتعالى العقل والفكر لنستخدمهما فيما ينفع ويفيد، روى الإمام مالك عن القاسم بن محمد بن أبي بكر أنه قال: "أدركت الناس وما يعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل"<sup>(٣)</sup>، وروي الإمام الزهري عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان إذا سئل عن أمر يقول: أكان هذا؟ فإن قالوا: نعم؛ حدث فيه بالذي يعلم، وإن قالوا: لم يكن؛ قال:

(١) سورة النازعات.

(٢) سورة الإسراء: ٨٥.

(٣) الشاطبي، الموافقات: ١/٦٥.

والضلال، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا يزال الناس يسألون يقولون ما كذا وما كذا، حتى يقولون الله خالق الناس فمن خلق الله، فعند ذلك يضلون))<sup>(١)</sup>. وفي رواية البخاري قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته))، وقد جاء في الأثر: تفكروا في المخلوق ولا تتفكروا في الخالق؛ "لأن التفكير والتقدير يكون في الأمثال المضروبة والمقاييس، وذلك يكون في الأمور المتشابهة وهي المخلوقات، وأما الخالق جَلَّ جَلَالُهُ فليس له شبيه ولا نظير، فالتفكير الذي مبناه على القياس ممتنع في حقه، وإنما هو معلوم بالفطرة"<sup>(٢)</sup>، والله سبحانه يُعرف بآثاره وصفاته وأسمائه ولا يسأل عن كنهه.



**فالمقصود التفكير في خلق الله الذي يؤدي إلى تعظيم الخالق والخضوع له ولدينه ولشرعه، والتفكير المنهي عنه هو الذي مبناه على القياس، وهذا مبدأ الانحراف عندما قاسوا الخالق على المخلوق..**



ينفع فلا أقاموا ديناً على الوجه الصحيح ولا أقاموا دنيا، والذين يسمون فلاسفة في التراث الاسلامي مثل ابن سينا والفارابي كانوا مقلدة للفلاسفة اليونانيين، وهم يفسرون الخلق بنظرية (الفيض) فالخلق تم دون قصد من الله سبحانه، ولكن فاض عنه العقل الأول كما يصدر الضوء عن الشمس؟! والمغالطة التي وقع فيها هؤلاء هي: ما دام هؤلاء اليونانيون قد أتوا بشيء مهم ومفيد في الطب والرياضيات وبعض العلوم الطبيعية فمعنى هذا أنهم أتوا بشيء صحيح في الإلهيات، وهذا غلط

(١) ابن أبي عاصم، السنة: ١/٢٩٣.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى: ٤/٤٠.

(٣) سورة الأنعام.



فاحش، فبعض الفلاسفة اليونانيين كانوا يعبدون الكواكب، و(أرسطو) يعتقد أن الإله خلق العالم ثم تركه، وهو لا يفكر إلا في ذاته، أي أن إله أرسطو مثل صانع الساعة السويسرية، وهي المغالطة نفسها التي يستعملها الأوربيون مع غيرهم، يقولون: ما دمنا نحن أقوى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً فنحن على حق فكرياً وحضارياً.



**أساء منهج علم الكلام إلى روح الحضارة الإسلامية وثقافتها، وهذا لا يعني أن المنهج الأساسي في العلم والعمل قد غاب عن أنظار كثير من علماء المسلمين الذين كتبوا في أنحاء شتى من الفنون، وهو المنهج الاستقرائي الذي ينتقل من الجزئيات إلى الكليات. الذي يهتم بالتجربة الحسية واستخدام العقل للوصول إلى المعرفة، وهو المنهج الذي دل عليه القرآن الكريم ...**



لقد أساء منهج علم الكلام إلى روح الحضارة الإسلامية وثقافتها، وهذا لا يعني أن المنهج الأساسي في العلم والعمل قد غاب عن أنظار كثير من علماء

المسلمين الذين كتبوا في أنحاء شتى من الفنون، وهو المنهج الاستقرائي الذي ينتقل من الجزئيات إلى الكليات. الذي يهتم بالتجربة الحسية واستخدام العقل للوصول إلى المعرفة، وهو المنهج الذي دل عليه القرآن الكريم، ﴿وَاللَّهُ أَحْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)، وهو منهج دراسة الكون وما فيه منافع للإنسان، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ (٣)، فقد نفى دعواهم لانتفاء المشاهدة، فمن أين أتوا بتلك الدعوى؟ وكثيراً ما نسمع بعض العلماء يقولون: هذا أمر يشهد به الحس والتجربة!

وبسبب استمرار هذا المنهج في التراث الإسلامي برز علماء كبار في مقاصد الشريعة وفي الطب والهندسة وسائر العلوم الطبيعية، ومن هذا المنهج استتقت أوروبا بداية نهضتها وهو ما عرف بالمنهج التجريبي الذي أخذه (بيكون) من الحضارة الإسلامية في الأندلس.

### **الغرب والمنهج البراغماتي:**

كان من نتائج المنهج التجريبي أن ظهر في بريطانيا ثم انتقل إلى أمريكا المذهب (النفعي) أو (البراغماتي) pragmatism

(١) سورة النحل.

(٢) سورة الانشقاق.

(٣) سورة الكهف: ٥١.

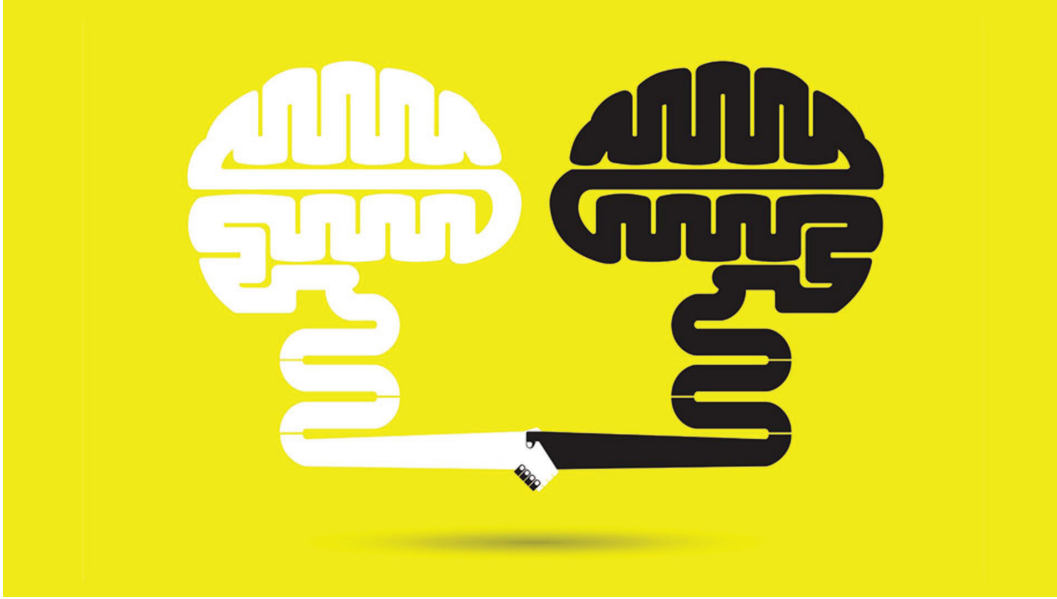
. وكان رائد هذا المذهب أو هذه النظرية الفيلسوف البريطاني (جيريمي بنتام) (١٧٤٨-١٨٣٢م)، الذي اشتهر بالتركيز

على حرية الفرد والحرية الاقتصادية والفصل بين الكنيسة والدولة، وخلاصة هذا المذهب كما يقول أحد فلاسفته (تشارلس بيرس): "إذا كان لديك فكرة وأردت تحديداً لمضمونها فانظر ماذا عسى أن يكون لها من نتائج تطبيقية في دنيا العمل، ثم اجمع هذه النتائج يكن لك قوام فكرتك"<sup>(١)</sup>، أي أننا عوضاً عن أن نتساءل عن مصدر الفكرة وأصلها، وبعيداً عن الحتميات والأشياء الأولية فإن البراغماتية تتساءل عن النتائج، عن الثمرة، فالفكرة هي صواب إذا كانت نتائجها مما يسعف ظروف حياتنا العملية ويفيدنا في حل مشاكلنا، وليس المقصود المنفعة الشخصية، بل ما قامت التجربة على صدقها لتحسين الأوضاع العامة، يقول الفيلسوف البريطاني (فرانسيس بيكون): "إن إنفاقك في الدراسة النظرية وقتاً طويلاً هو ضرب من الكسل والخمول، ومحبة في الظهور...".

ترسخ هذا الاتجاه نحو الأفكار التي لها تطبيق عملي في دنيا الواقع وابتعد عن الإغراق في التنظير أو حفظ معلومات لا تفيد شيئاً في الحياة العملية، يقول أحد دعائهم المشهور باهتماماته التربوية (جون ديوي): "بدل أن يعرف الطالب

(١) زكي نجيب محمود، ثقافتنا في مواجهة العصر: ٤٤.

(٢) سر تطور الأمم: ٩٧.



كان هذا الإيمان يساعدنا في بعض جوانب حياتنا فالحق أصبح عند (جيمس) وأمثاله هو كالسلعة، ليست قيمتها في ذاتها بل في الثمن الذي يدفع فيها، حتى أصبح مصطلح (البراغماتية) مرادفاً للانتهازية. إن النفعية البراغماتية قد توفر النفع في ميادين، ولكنها تفرز الضرر في ميادين أخرى، وهذا شيء طبيعي في كل نظرية إنسانية تبتعد عن منهج النبوات والوحي السماوي وإن كان فيها جزء من الحق.

يقول الشيخ ابن عاشور رَحْمَةُ اللَّهِ: "إن ما يشتمل عليه الكتاب والسنة من أخبار عالم الغيب إنما قصد منه لفت العقول والقلوب إلى ما وراء المحسوس حتى يؤمنوا به مجملًا، ثم يقبلوا إلى تعلم علم يرجى منه دراية وعملاً، إنه أجدر بأهل العلم في الأمة الإسلامية الاهتمام بتمحيص ما ينبني عليه عمل نجيح أو اعتقاد صحيح، وأن يوفرنا زمانهم فيما هم إليه أحوج، فإن الزمان نفيس" (١).

(١) تحقيقات في القرآن والسنة: ١٥٨.

ولكن الإسلام ليس كذلك، فرغم الاعتراف بأهمية النفع المادي للإنسان، ولكن هناك مبادئ عليا التي لا تجر نفعاً مادياً، مثل قول الصدق ولو أدى إلى ضرر شخصي للمسلم، ومثل قول كلمة الحق أمام سلطان جائر، ومثل العمل التطوعي والعمل الخيري، والدعوي، ولو أدى إلى اضطهاد الدعاة أحياناً وتعرضهم لأنواع الأذى، ولكنهم يصبرون ويتحملون، وليس وراء ذلك نفع مادي. ثم هناك أمور

# حوار مع عالم فقدناه.. الشيخ التشادي: د. يحيى عبد الله

توفي الشيخ يحيى عبد الله رَحْمَةُ اللَّهِ بعد أيام قليلة من إجراء هذا اللقاء معه، إثر حادث سير في بلده جمهورية تشاد، وكانت وفاته في يوم الاثنين ٢٨ شوال ١٤٤٠هـ - ١ يوليو ٢٠١٩م.

حدثنا - فضيلة الشيخ - عن الاسم كاملاً، ومولدكم، والنشأة العلمية، وأين أكملت الدراسات الجامعية؟

أشكر هيئة تحرير (مجلة بينات) التابعة لرابطة علماء المسلمين على تفضلها بإجراء هذا اللقاء، وأسأل الله أن يوفق القائمين عليها.

اسمي يحيى عبد الله أحمد، من مواليد ١٩٥٨م في مدينة شكوية شرق البلاد. أولاً قرأت القرآن الكريم على الوالد. بعد حفظ القرآن بدأت أدرس العلم الشرعي مع المشايخ في الحلقات في القرية، أخذت معهم ثماني سنوات، وبعد ذلك التحقت بمدينة (أبشة) التي تبعد ثمانين كيلو شمالاً، ودخلت في المعهد العلمي وقبليت في المرحلة الإعدادية في الصف الأول، وبعدها مباشرة نقلوني للصف الرابع، ثم لما أكملت الصف الرابع نقلت للمرحلة الثانوية الصف الثالث، ثم أخذت الشهادة

الثانوية ١٩٧٨م، وفي ذلك الوقت لم تكن هناك جامعات، ثم رجعت للحلقات ودرست الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية واللغة العربية وأجزت من عدة مشايخ، ثم التحقت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية فدرست المرحلة الجامعية، ثم انتقلت إلى السودان والتحقت بجامعة القرآن الكريم، وحضرت الماجستير والدكتوراه في قسم التفسير وعلوم القرآن. هل يمكن أن تذكر لنا أهم المناصب العلمية التي تقلدتموها والمؤسسات التي تمثلون فيها؟

عندما كنت في السودان درّست في جامعة الخرطوم قسم الثقافة الإسلامية لمدة سبع سنوات وأيضاً درّست في معاهد أخرى، وفي تشاد أسّست (جمعية الرشاد الخيرية للتنمية)، وعملت فيها زمناً، ثم تطورت وصارت (منظمة الرشاد للتنمية)



فاشتغلت فيها عدة سنين، ثم أسست مجموعة من المعاهد فأسست (معهد الرشاد لتأهيل الحفاظ) في العاصمة، و(أكاديمية الرشاد لتأهيل الحفاظ) في مدينة (أبشة). وهذان المعهدان يستقبلان الطلاب الذين حفظوا القرآن الكريم ولم يلتحقوا بالمدارس أصلاً، فندرسهم سنة تمهيدية ثم يلتحقون بالمرحلة الإعدادية، وقد نجحوا والحمد لله نجاحاً كبيراً؛ فإن

الطلاب وعلى مدى ثلاث سنوات يحرزون المراتب الأولى في الشهادة الثانوية على مستوى الدولة، سواء في المدارس الفرنسية أو العربية، وقد أخذوا جوائز

وشهادات من الدولة على هذا السبق، ثم أسست (مركز نون للبحوث والدراسات التنموية) ولا زلت رئيس مجلس الإدارة فيه، كما رأس مجلس إدارة (جمعية القرآن الكريم والعلوم الإسلامية) والتي مقرها في العاصمة، ومن مؤسسي اتحاد العلماء، ودرّست مدة قليلة في (جامعة الملك فيصل) في الدراسات العليا في فقه النوازل.

كيف ترون حالة الدعوة في تشاد؟  
اللغة العربية، هل ما زالت تتمتع بوجودها القوي في تشاد؟ كم عدد



الناطقين بها اليوم في سكان تشاد بنظركم؟ تتراوح الإحصاءات حول الإسلام في تشاد ما بين من يقلله حد الـ ٥٣٪ من السكان، ومن يتحدث عن ٨٥٪ أو ما يفوق ذلك، فأبي الأرقام أدق؟ وهل من إحصاءات موثوقة في هذا الصدد؟

حالة الدعوة في تشاد في تقديري مبشرة، ولا توجد فيها عراقيل كبيرة، والدعاة ينشطون حسب طاقتهم، أما اللغة العربية فهي موجودة في تشاد، وأكد أجزم أن كل التشاديين بإمكانهم فهم اللغة العربية وإن كانت قدرات الحديث بها متفاوتة، فهي اللغة الوحيدة الجامعة؛ لأن اللغات المحلية تربو على المتئين، فاللغة العربية لغة الشارع ولغة السوق فهي منتشرة في كل تشاد، فالعربي إذا جاء إلى تشاد لا يحتاج إلى مترجم، أما الإحصائيات فتختلف من وقت لآخر، فحتى في عهد الرئيس السابق غير المسلم كانت النسب ٨٥٪ مسلمون و٥٪ نصارى، و١٠٪ وثنيون، والآن بدأت النسب تتغير، فيقول بعضهم أن نسبة المسلمين بضع وخمسون في المئة، ولكن هذه الإحصائيات سياسية يُراد

بها أغراض أخرى! والواقع غير ذلك؛ لأن الإسلام ينتشر أسرع من غيره وأكثر، ففي الجنوب الذي أكثره كان على غير الإسلام أصبحت قرى بكاملها تدين بالإسلام. مع تراجع الصحوة الإسلامية في العالم العربي، ماذا عن تشاد؟ وهل هناك مبشرات لعودة دينية واضحة في تشاد؟ الصحوة الإسلامية في تشاد في تقدم نوعاً ما، فنرى الاهتمام بالعلم والتعليم، وارتياح المساجد صار ظاهراً ملموساً، والمرأة اليقظة فيها أكثر من الرجل، فنرى في كل حي مراكز محو الأمية التي يدرس فيها النساء ويتعلمن أمور دينهن، ونرى النساء يتزايدن على هذه المراكز، كذلك الحجاب في أوساط النساء صار هو الغالب على الشارع، وأستطيع أن أقول إن وضع الصحوة في تشاد مبشر - إن شاء الله -.

ما الذي يعرقل الدعوة في تشاد في نظركم؟ أما العراقيل فإن أهم معرقل هو عدم وحدة جهود الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، صحيح ليس هناك صراع ولكن ليست هناك وحدة وضم للصوف، فلو أنهم ضموا صفوفهم وتعاونوا مع (المجلس الأعلى للشؤون

الإسلامية) - وقد فتح أبوابه للجميع - لكان في ذلك الخير الكثير، وليست هناك عراقيل كثيرة، وليس هناك من يعترض على تعليم الناس؛ ففي أي مكان أو أي تجمع للناس في المساجد أو المناسبات الاجتماعية.

ذلك من المشكلات قلة وسائل الحركة التي تعين الدعاة للتحرك في داخل تشاد بعد التطورات العالمية الأخيرة التي أثرت على المنظمات التي كانت تسد شيئاً من هذه الفجوة.

هلاً حدثتنا - فضيلة الشيخ - عن موقف التشيع والتنصير في تشاد وجهود علماء أهل السنة في مقاومتهم؟

بالنسبة للتشيع والتنصير، التشيع غير موجود في تشاد بشكل ظاهر وهم أفراد يظهرون هنا وهناك، وقد رُصدَ بعض هؤلاء، لكن التشيع لم يُكتب له القبول والانتشار في المجتمع، أما المؤسسات التنصيرية في تشاد فكثيرة جداً وتكثر في أماكن المسلمين؛ فهم يستغلون الحاجة المادية للناس، لكن - والحمد لله - لا يكاد يستجيب لهم أحد، ولا يترك أحد الإسلام إلا قليلاً من ضعاف النفوس، أما علماء أهل السنة فجهودهم كثيرة، ولكن لأن التشيع ليس ظاهرة اجتماعية لا يكون التصدي لها علناً وإنما حسب الوضع.

ماذا عن علاقة الدعوة الإسلامية في تشاد مع الجيران؟ سواء بالسودان أم في منطقة الساحل؟

علاقة الدعوة مع السودان قوية بحكم التداخل القبلي والحدود المفتوحة وسهولة التنقل، وبعض الناس لهم بيت في السودان وبيت في تشاد، وهذا ترك تأثيراً وتأثراً قوياً

من الناحية الدعوية، أما الدول المجاورة الأخرى فإن تأثير تشاد على الدعوة في إفريقيا الوسطى قوي جداً؛ فتجد المعلمين في الدروس وحلقات التحفيظ جلهم من التشاديين، فتأثير تشاد على إفريقيا الوسطى أكثر من غيرها، أما في الكاميرون خاصة في المدن القريبة من تشاد فإن تأثير التشاديين جيد جداً، أما الدول الأخرى فالتأثير ضعيف نوعاً ما.

لماذا تبدو تشاد بعيدة نسبياً في الثقافة والاجتماع عن الدول العربية برغم اشتراك الشعب التشادي معها في التحدث باللغة العربية؟

تشاد بعيدة نوعاً ما جغرافياً عن الدول العربية رغم قوة اللغة العربية في تشاد، ولكن كثيراً من الدول العربية لم يكونوا يعلمون أن اللغة العربية هي اللغة التي تجمع كل أبناء الشعب التشادي، ولا شك أن الممالك الإسلامية قبل دخول المستعمر كانت تعتمد اللغة العربية في المخاطبة والتدريس، ولا يوجد حرف مكتوب باللغات المحلية وإنما يكتبون باللغة العربية، فعدم معرفة الدول العربية بواقع تشاد لعله هو السبب في بعد تشاد من المحيط العربي، ولكن الآن مع دخول المنظمات الخيرية اتضح الأمر أكثر بالنسبة للدول العربية، فصاروا يتعرفون على المجتمع التشادي وقبائله العربية وانتشار اللغة العربية فيه، وتعرفوا على قربه اللغوي والثقافي من الدول العربية، كذلك من أسباب البعد الثقافة الفرنسية، والتي سياستها طمس هوية وثقافة الشعوب وإحلال الثقافة الفرنسية مكانها. ونسأل الله أن ييسر أمر الدعوة ويزيل عنها العقبات..



## HUMAN RIGHTS DAY DFW

# نظرة في حقوق الإنسان (٢)

م. محمد حسين محمد

باحث وكاتب سوداني

مدخل:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد، فقد تكلمنا في المقال السابق عن تاريخ فكرة حقوق الإنسان في المجتمع الغربي والجدور والأصول الفلسفية التي ترتكز عليها، وأهم الاعتراضات عليها من الفلسفات الأخرى، وفي مقالنا هذا سنتناول المفهوم الغربي لحقوق الإنسان من النظرة الشرعية.

مقدمة:

دين الإسلام ما يتوافق مع هذه النظرة للإنسان، فتشريعات الإسلام كلها تكريم ورفعة للإنسان، فأحل الله له الطيبات وحرّم عليه الخبائث، ومفهوم الطيبات والخبائث في الإسلام لا يقتصر على المطعوم والمشروب فقط، بل يتعداه لكل ما يخص الإنسان، فالأخلاق منها طيب وخبث، والأفعال منها طيب وخبث.. وهكذا.

وليس غرضنا في هذا المقال استعراض الحقوق التي أثبتتها الله لبني آدم، ولكننا نريد فقط المقارنة بين نظام وأسس حقوق الإنسان في الإسلام وتلك الموجودة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، وذلك لنبين عظمة النظام الحقوقي في الإسلام وقصور ونقص النظام الحقوقي الغربي.

لم تعرف البشرية منذ خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ نظاماً ولا ديناً اهتم بتقرير الحقوق والتشريعات التي تصونها وتحفظها مثل دين الإسلام، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١)، وقال جل في علاه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٢)، فقد بين الله في هذه الآية مكانة الإنسان ورتبته بين المخلوقات، فقد فضله الله على أكثر مخلوقاته وجعله مكرماً وسخر له ما في السموات والأرض لينتفع به ويؤمن رفاهيته، وشرع الله في

(١) سورة التغابن.

(٢) سورة الإسراء.





## مجالات المقارنة:

### أولاً: مصدر الحقوق:

فتتكامل هذه الحقوق وتتعاقد لتقييم حياة كريمة يأخذ فيها كل صاحب حق حقه.



**تتسق نظرة حقوق الإنسان بالنظرة الشاملة للمسلم مع الحياة، فالمسلم ينظر للكون والمخلوقات باعتبارها من صنع الله سبحانه وتعالى، وأن صانعها هو الذي شرع لنا كيفية التعامل معها.**



بينما في النظرة الغربية نجد أن مصدر الحقوق هي الطبيعة، ولهذا عددٌ من الإشكالات، نذكر منها:

(١) أن الحقوق بهذه الطريقة تكون نسبية ولا تأخذ صفةً معيارية مطلقاً، فلكل فيلسوف أو حقوقي النظر في هذه

في الإسلام مصدر الحقوق هو شريعة الله تعالى، فالحقوق هنا منحة إلهية وهبة ربانية لا يجوز لأحد من الناس مصادرتها أو إلغاؤها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَأَرْزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (١)؛ فهذا التفضيل والتكريم حكم إلهي لا يُنسخ ولا يُرد، فالله تعالى هو الذي خلق الخلق وهو الذي رتب أصنافهم وسخر هذا لذاك، وجعل صفوة مخلوقاته الإنسان.

تتسق نظرة حقوق الإنسان بالنظرة الشاملة للمسلم مع الحياة، فالمسلم ينظر للكون والمخلوقات باعتبارها من صنع الله سبحانه وتعالى، وأن صانعها هو الذي شرع لنا كيفية التعامل معها، فحقوق الإنسان تتموضع مع حقوق الحيوان وحقوق البيئة وقبل ذلك حق الله سبحانه وتعالى،

(١) سورة الإسراء.



الطبيعة واستخلاص الحقوق منها، مما يفتح باب الاختلاف عليها، وهو ما حصل فعلاً كما نبهنا في المقال السابق من الاختلاف الكبير بين الشيوعية والليبرالية في حقوق الإنسان رغم اتفاهم أن مصدر الحقوق هو الطبيعة.

(٢) الحقوق الطبيعية قد يكون فيها تعدد على بعض المخلوقات، كما نرى في العالم الغربي مثل سجن الحيوانات وتعذيبها من أجل متعة الإنسان ورفاهيته كما يحصل في مهرجانات السيرك وغيرها، ومثل ذلك التعدي على النباتات والبيئة العامة لمصلحة الإنسان العاجلة، أما عندما تكون شريعة الله هي مصدر الحقوق فإنها توازن بين الحقوق بحيث لا يتعدى أحد المخلوقات على حق غيره قال تعالى:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١)

### ثانياً: بين الحقوق والأخلاق:

من مساوئ النظرة الغربية لحقوق الإنسان ذلك الفصل المشين بين الحقوق والأخلاق، ويظهر ذلك مثلاً في دعواهم (١) سورة الملك.

في شريعة الله تجد الوسطية والاعتدال، فلا تتفصل منظومة القيم عن منظومة الأخلاق، فلا يحق لأحد من الناس تجاوز القيم الأخلاقية والمجتمعية بدعوى الحرية الشخصية، فهذه الأخلاق مربوطة بتكريم الله تعالى للإنسان.



بينما في شريعة الله تجد الوسطية والاعتدال، فلا تنفصل منظومة القيم عن منظومة الأخلاق، فلا يحق لأحد من الناس تجاوز القيم الأخلاقية والمجتمعية بدعوى الحرية الشخصية، فهذه الأخلاق مربوطة بتكريم الله تعالى للإنسان، والإنسان يُمنع من بعض الأفعال التي تشينه وتنزل به إلى دركات الأنعام، ولو كان في ذلك تضيق على حرية اختياره.

يكادون يهضمون كل حقوق الأفراد. بينما إذا نظرت إلى شريعة الله تعالى تجد التوازن بين الفرد والمجتمع، فللفرد حقوق خاصة لا يحق لأحد من الناس التعدي عليها ولا التضيق عليه فيها، وللمجتمعات حقوق فلا يحق للفرد ارتكاب الأفعال التي تسيء للمجتمع أو تستفزه أو تضعف روابطه.

كذلك نرى في الإسلام اهتماماً كبيراً بالأسرة وحقوقها، بل لعليّ أقول إنها الحلقة الأهم بين مكونات المجتمع في النظرة الإسلامية، لأنها فترة غرس القيم والمفاهيم وتشكيل التصورات والمحافظة على الهوية، لذلك تجد أن كثيراً من الحريات الفردية الغربية تصطدم مع حقوق الأسرة في الإسلام خاصة حقوق المرأة والطفل.

### ثالثاً: بين الفرد والأسرة والمجتمع:

قد بينا في المقال السابق أن النظرة الغربية التي تتبناها الأمم المتحدة في حقوق الإنسان هي النزعة الفردية، فاختيارات الفرد وحرية مقدمة على المجتمعات حتى لا يكاد يكون له قيمة، بينما في النظرة الماركسية يغلبون حقوق المجتمعات حتى



# مكانة القسطنطينية وفتحها العظيم

د. أنور بن قاسم الخضري

باحث وكاتب يمني

**تمهيد:**

من هذا المنطلق نستعرض قضية فتح القسطنطينية بين القديم والواقع والمستقبل في هذه الورقة الموجزة؛ آمين أن تتنبه الأجيال المسلمة لمؤامرات الأعداء ومخططاتهم الرامية إلى زيادة تفريقهم وإضعافهم لاحتلال بلدانهم كما جرى سابقاً. وأن تعمل جاهدة في سبيل التصدي لهذه المؤامرات والمخططات بشكل مدروس وجهد عملي منظم وشامل وعميق.

**الفتح.. البشري والأجر:**

احتلت مدينة القسطنطينية مكانة عظيمة في وعي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السياسي والجهادي، لما لها من مكانة عظيمة في العالم، ولما تمثله هي ومدينة رومية (روما)

بمناسبة الذكرى السادسة والسّتين بعد الخمسمائة لفتح مدينة القسطنطينية التي باتت بعد فتحها عاصمة الخلافة الإسلامية العثمانية لأكثر من أربعمائة عام، ينبغي التذكير أن حواضر الإسلام الكبرى التي انتزعتها الإسلام من يد دول وديانات أخرى ستظل محلّ مطمع من أولئك الذين لا يزالون يحملون أحقاد التاريخ. وإذا لم يحافظ المسلمون على انتصاراتهم بالأخذ بالسُنن والأسباب الشرعية والكونية التي أمرهم الله بها، وإلا فإن هذه الانتصارات لن تستمر لهم إذا لم يكونوا أهلاً لها وللدفاع عنها. فسنن الله لا تحابي أحداً من عباده مهما بلغ إيمانه.

مِنْ رَمْزِيَةِ الرُّومِ النَّصَارَى. لَذَلِكَ فَقَدْ بَشَّرَ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ بِفَتْحِ هَاتَيْنِ الْمَدِينَتَيْنِ، ذَاكِرًا أَجْرَ مَنْ يَقْصِدُهُمَا مَجَاهِدًا وَفَاتِحًا لِهَمَّا. فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ أُمِّ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجُبُوا)). فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: ((أَنْتِ فِيهِمْ)). ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ)). فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((لَا))<sup>(١)</sup>.  
 وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا فِي بَيْتِهَا، فَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ يَضْحَكُ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: ((عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ، كَالْمَلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ)). فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: ((أَنْتِ مِنْهُمْ)). ثُمَّ نَامَ فَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ يَضْحَكُ. فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: ((أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ))<sup>(٢)</sup>.



**وإذا لم يحافظ المسلمون على انتصاراتهم بالأخذ بالسُّنن والأسباب الشرعية والكويبة التي أمرهم الله بها، وإلا فإن هذه الانتصارات لن تستمر لهم إذا لم يكونوا أهلاً لها وللدفاع عنها. فسنن الله لا تحابي أحداً من عباده مهما بلغ إيمانه..**



والبشرى بفتحها سبق أن جاءت على لسان هرقل ذاته، في حديثه مع أبي سفيان المشهور. فقد جاء فيه قوله: "إن يك ما تقول فيه حقاً، فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أك أظنه منكم، ولو أنني

(٣) مسند أحمد: ج ١٠/١٣١؛ وقال أحمد شاكر، في تحقيقه له: إسناده صحيح. وهو في السلسلة الصحيحة للألباني: (٤). وأخرجه الحاكم في مستدركه: (٨٣٠١)، و(٨٥٥٠). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ولمّا كان أمر فتح المدينتين مُستقرّاً في نفوس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَيِّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ قَبْلُ.

فَعَنَ أَبِي قُبَيْلٍ أَنَّهُمْ تَذَاكَرُوا فَتَحَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَرُومِيَّةَ، فَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِصَنْدُوقِ

(١) البخاري: (٢٩٢٤).

(٢) البخاري: (٢٨٩٤) و(٢٧٩٩)؛ ومسلم: (١٩١٢).



أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لِأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلِيَبْلُغَنَّ مَلِكُهُ مَا تَحْتَ قَدَمَيْ<sup>(١)</sup>. وهو وإن كان يَشِيرُ لِلشَّامِ، حَيْثُ وَرَدَهُ كِتَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُهُ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنَّ عِبَارَةَ مَا "تَحْتَ قَدَمَيْ" أَوْسَعُ دَلَالَةً فِي شَأْنِ مَلِكٍ بِحَجْمِ هِرَقْلٍ؛ وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي مَعْرِفَتِهِ بَعْلَمُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالتَّنْجِيمَ.

فَفِي الصَّحِيحِ، أَنَّ ابْنَ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ كَانَ أَسْقَفًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ، وَكَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ [أَي بَيْتِ الْمَقْدِسِ]، أَصْبَحَ يَوْمًا حَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ. فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَنُّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَنُّ إِلَّا الْيَهُودُ، فَلَا يُهْمَنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا

مَنْ فِيهِمْ مِنْ يَهُودٍ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَتَى هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ عَسَانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانظُرُوا أَمْخَتَيْنِ هُوَ أَمْ لَا؟ فَانظُرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ. فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بِرُومِيَّةً، وَكَانَ نَظِيرُهُ فِي الْعِلْمِ. وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمَصَ، فَلَمَّ يَرِمُ حِمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوْفِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ. فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسَكْرَةَ لَهُ بِحِمَصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِّقَتْ، ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَنْبَتَ مُلْكُكُمْ [وَهَذَا الشَّاهِدُ]، فَتَبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ عُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفَرَتَهُمْ، وَأَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي أَنْفَاءً

(١) البخاري: (٤٥٥٣)؛ ومسلم: (١٧٧٣).

العهد الأموي، واستمرت خلال العهد العباسي، إلى أن تكلت بالنجاح في العهد العثماني.

ومما لا شك فيه أن فتح القسطنطينية مثل حدثاً تاريخياً مهماً في مسيرة الفتوحات الإسلامية وميزان القوى في العالم في ذلك الحين، لذا فقد ظل الإسلام بعد هذا الفتح قرابة أربعة قرون عزيز الجانب مُهابَ الحمى. وأصبحت القسطنطينية عاصمة الخلافة الإسلامية التي امتدت شرقاً وغرباً.

### مؤامرة النصارى وسقوط الخلافة:

بسقوط القدس والشام بيد المسلمين حمل النصارى حِقداً دفيناً على المسلمين، وسعوا عبر حملات عدّة لاسترداد سلطانهم على فلسطين والشام عموماً. فقد قاد نصارى أوروبا حملات عسكرية عدّة، بدأت أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، واستمرت حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي (١٠٩٦-١٢٩١م)؛ وكانت هذه الحملات العسكرية ذات بُعد ديني طاغ، لذا عُرفت بـ(الحروب الصليبية). فقد كانت تُشنُّ تحت شعار الصليب، ومن أجل الدفاع عنه واستعادة الأراضي المقدسة بزعمهم.

وقد أسفرت الحملة الأولى، نتيجة تفرّق المسلمين وضعفهم، عن احتلال القدس عام ١٠٩٩م، وقيام مملكة القدس اللاتينية؛ بالإضافة إلى قيام عدّة إمارات صليبية أخرى، كالرها وأنطاكية وطرابلس. وظلت القدس بأيديهم حتى حرّرها المسلمون بقيادة السلطان صلاح



أختبرُ بها شدتكم على دينكم، فقد رأيتُ، فسجدوا له ورضوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل<sup>(١)</sup>. فقله: "أن يثبت ملككم" فيه إشارة إلى أن ملكهم زائل بوجود هذا النبي وأُمَّته.

وقد جاء في الحديث: ((إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله))<sup>(٢)</sup>. وقيصر لقب لكل من ملك الروم. وكما زال ملك كسرى بفتح المدائن، عاصمة فارس، في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقد زال ملك هرقل (قيصر الروم الشرقية) في عهد السلطان محمد الثاني بن مراد العثماني، بسقوط القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، في جمادى الأولى عام ٨٥٧هـ/ الموافق ٢٩ مايو عام ١٤٥٣م.

وقد شكّل فتح القسطنطينية خاتمة محاولات سابقة لضم هذه المدينة لحظيرة الخلافة الإسلامية، بدأت منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أوائل

(١) البخاري: (٧).

(٢) البخاري: (٣١٢٠)؛ مسلم: (٢٩١٨).

القرن التَّاسِعَ عشر. وَعَقِبَ هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، التي دخلتها إلى جانب دول المحور، سَعَتِ الدول الأوروبية لتقاسم إرثها الجغرافي بأكمل ما يحمله من شعوبٍ وثروات ومقدَّرات.

فقد هاجمت كلُّ من بريطانيا وفرنسا وروسيا وإيطاليا الأراضي العثمانية، ما ألجأ الدولة العثمانية لإبرام (مُعاهدة مودروس) مع دول الحلفاء، وخرجت بموجبها من الحرب. فقد أُنهت المعاهدة، الموقَّعة في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م، العمليات القتالية في الشرق الأوسط بين الدولة العثمانية والحلفاء. وقد كانت شروط المعاهدة مجحفة جداً بالدولة العثمانية.

بعد مرور شهرٍ على توقيع المعاهدة، دَخَلَت البحرية البريطانية والفرنسية والإيطالية ثمَّ الأمريكية خليج (القرن الذهبي)، وأنزلت قواتها في (الأسْتانة) وحوَّلتها لقاعدة عسكرية لنشاط الحلفاء في المنطقة كُلِّها. كما سيطرَ الحلفاء على موانئ البحر الأسود كُلِّها، واقتسموا الأراضي التركية، فاحتلَّ الفرنسيون (مَرسين) و(أضنة)، والإيطاليون (أنطاكية) و(كوشا داسي) و(قونية)، واحتلَّ اليونانيون القسم الغربي من الأناضول، بالإضافة إلى (تراقيا).

مع عجز الدولة وهزيمتها، أرغَمَ العثمانيون من دول المركز على توقيع (معاهدة سيفر) في ١٠ أغسطس ١٩٢٠م. وتضمَّنت هذه المعاهدة التَّخْيُّ عن جميع الأراضي العثمانية التي يقطنها

الدين الأيوبي الذي توحدت تحت سلطانه بلاد مصر والشام عام ١١٨٧م. ومع ذلك استمرت الحملات الصليبية تتتابع حتى بلغت تسع حملاتٍ عسكرية. وظلَّت أرضُ الشام ومصر والأناضول ميدان صراع دائمٍ بين معسكر المسلمين ومعسكر الصليبيين.



**فتح القسطنطينية مثل حدثاً تاريخياً مهماً في مسيرة الفتوحات الإسلامية وميزان القوى في العالم في ذلك الحين، لذا فقد ظلَّ الإسلام بعد هذا الفتح قرابة أربعة قرُونٍ عزيز الجانب مُهابَ الحمى. وأصبحت القسطنطينية عاصمة الخلافة الإسلامية التي امتدَّت شرقاً وغرباً..**



ومع ضَعْفِ الدَّولة العُثمانية في آخِرِ عهدِها، عادت الأطماعُ الأوروبيَّة الصَّليبية على بلاد المسلمين مُجدِّداً تحت غطاءِ حركة الاستعمار الحديث<sup>(١)</sup>؛ والذي ظَهَرَ بعد قيام الثَّورة الصَّناعية في أوروبا في

(١) الاستعمار الحديث هو تعبير يقابل الاستعمار القديم الذي قامت بها أوروبا في القرن السَّادس عشر الميلادي لغزو العالم والبحث عن مَصْدَرٍ للثروات، وطريق جديدة لخطوط التجارة العالمية. فتمكنت من احتلال شعوب كاملة في آسيا وأفريقيا والعالم الجديد الأمريكيتين وأستراليا.



وجميع أملاك الخلافة العثمانية خارج حدود تركيا الحديثة.

بعد توقيع الاتفاقية جرى تجريد السلطان عبد المجيد الثاني من أي سلطة تشريعية أو تنفيذية أو قضائية؛ ثم جرى إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤م، ونُفي عبد المجيد الثاني خارج البلاد. وتحوّلت تركيا وفق دستور جديد إلى دولة علمانية لها موقف سلبي من الدين.

هكذا نجد أنّ القسطنطينية وأراضي الأناضول الإسلامية، ومن قبلها القدس وأراضي الشام، وقعت مجدداً تحت الاحتلال الصليبي. وهو ما يعني أنّ وعد الله تعالى وبشرى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتبطان بالسُّنن الإلهية الربانية في الأنفس والمجتمعات؛ أي أنّ عودة احتلال بلاد الإسلام مجدداً بسبب ضعف المسلمين وتفرّقهم وغيابهم عن الشهود الحضاري.

### فتح القسطنطينية مجدداً:

أخبرت أحاديث نبويةٍ عدّة عن فتح ثانٍ للقسطنطينية كائنٍ آخر الزمان، وقبيل ظهور الدجال. وهذا يتفق مع مطامع الدول النصرانية في استعادة ميراثها التاريخي في المنطقة كلّما أمكن ذلك، وسعيهم الدؤوب في تحقيق ذلك. فالسعي في إضعاف تركيا، وحصارها، وتمزيق كيانها، وإشغالها بحرب أهلية، وإضعاف اقتصادها بات همّاً للدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية، كما هو إلى حدٍّ ما لروسيا وريثة الدولة البيزنطية في الكنيسة الأرثوذكسية.

وهذا الفتح الآخر للمدينة يرتبط بأحداثٍ وعلاماتٍ سابقة له، وهي:



غير الناطقين باللغة التركية، إضافة إلى استيلاء الحلفاء على أراضٍ تركية. فخضعت فلسطين والعراق للانتداب البريطاني، وسوريا ولبنان للانتداب الفرنسي. كما نصّت المعاهدة على وضع مضيق (البوسفور) و(الدردينيل) تحت إدارة دولية.

أشعلت المعاهدة المجحفة عدااء الأتراك. وظهرت في تلك المرحلة الحركة القومية التركية بزعامة مصطفى كمال، الذي عُرف بعدُ بـ(أتاتورك)، والتي قادت عمليات تحرير تركيا ومقاومة الاحتلال الأجنبي لأراضيها. وتمكّن مصطفى كمال بما حقق من انتصارات أن يلغي (معاهدة سيفر)، وأن يدفع الحلفاء لتوقيع معاهدة جديدة عُرفت بـ(معاهدة لوزان) في يوليو ١٩٢٣م. وكانت المعاهدة الجديدة بمثابة تسويةٍ لوضع الأناضول و(تراقيا) الشرقية، القسم الأوروبي من تركيا حالياً. وقادت إلى اعتراف دوليٍّ بجمهورية تركيا كوريث للإمبراطورية العثمانية. وبموجب المعاهدة تنازل الأتراك عن المطالبة بمصر والسودان والعراق وسوريا وقبرص،



### قيام دولة إسلامية بأرض الشام:

((اعدد ستاً بين يدي الساعة: ...)) وذكر منها: ((ثم هُدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً))<sup>(٣)</sup>. وفي بعض الروايات: ((فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يُقال لها الغوطّة، فيها مدينة يُقال لها دمشق))<sup>(٤)</sup>.

وهناك أحاديث صحيحة أخرى تشير إلى قيام خلافة إسلامية آخر الزمان بأرض الشام؛ وليس المجال محل استقصائها والحديث عنها. غير أن من الطبيعي أن أيّ تقدّم عسكري لفتح القسطنطينية (شمالاً) لا بدّ أن يسبقه قيام دولة متمكنة في أرض الشام، قادرة على تأمين ظهر جيش التحرير المتقدّم. وهذا يقتضي بالضرورة زوال دولة بني إسرائيل من خارطة المنطقة، وهو ما يُعبر عنه في بعض الأحاديث بـ(عمران بيت المقدس)، فالعمران لا يكون إلاّ بأمرين: بالعدل والإيمان؛ وهذا يتطلب وجود سلطان للإسلام في تلك البقاع المباركة.

ففي الحديث عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، قال: سمعت أبا ثعلبة الخشني صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول وهو بالفسطاط في خلافة معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان معاوية أغزى الناس القسطنطينية، فقال: "والله لا تعجز هذه الأمة من نصف يوم، إذا رأيت الشام مائدة رجلٍ واحدٍ وأهل بيته فعند ذلك فتح القسطنطينية"<sup>(١)</sup>. وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((فسطاط المسلمين يوم الملحمة الغوطّة، إلى جانب مدينة يُقال لها: دمشق))<sup>(٢)</sup>. والملحمة معركة للمسلمين مع الروم تسبق الفاتح القادم للقسطنطينية.

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:

(١) أحمد: (١٧٧٣٤)، وقال شعيب الأرنؤوط، في تحقيقه وآخرين للمسند: إسناده على شرط مسلم. وصورته موقوف كما قال الحافظ في أطراف المسند: ج١١٤/٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والحاكم في مستدركه. وقد ذهب جمع من العلماء لتصحيح الحديث منهم ابن حجر في بذل الماعون: (٦٧)؛ والألباني في سنن أبي داود: (٤٦٤٠)؛ وشعيب الأرنؤوط في تحقيقه لمسند أحمد: (٢١٧٢٥)؛ والوادعي في مسنده: (١٠٥٥).

(٣) البخاري: (٣١٧٦).

(٤) وقد صحح الرواية بهذه الزيادة، الألباني في فضائل الشام ودمشق: (٣٠)، وشعيب الأرنؤوط في تخريج مسند أحمد: (٢٣٩٨٥).



### وقوع الملاحم أو الملحمة:

حديث أسير بن جابر أنه قال: "هَاجَتْ رِيحُ حَمْرَاءَ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هَجِيرِي إِلَّا: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ جَاءَتْ السَّاعَةُ. قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَكِنًا، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقَسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا، وَنَحَاها نَحْوَ الشَّامِ، فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلَ الإِسْلَامِ. قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ؛ فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشَّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشَّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى

فقد جاء في الحديث عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عُمَرَانُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، خَرَابٌ يَثْرِبُ، وَخَرَابٌ يَثْرِبُ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتَحُ الْقِسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَالِ)). ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخْذِ الَّذِي حَدَّثَهُ أَوْ مَنْكِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ هَذَا لِحَقٌّ كَمَا أَنْتَ هَاهُنَا))<sup>(١)</sup>.

والحديث رغم أنه ضعيف، إلا أنه له شواهد من أحاديث أخر ترسم بمجموعها هذا السياق العام للأحداث. من ذلك،

(١) أحمد: (٢٢١٢١)، وقال شعيب الأرنؤوط، في تحقيقه وآخرين للمسنَد: إسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن ثوبان. وأورد حديثه هذا الإمام الذهبي في الميزان في جملة مناكيره. وأخرجه أبو داود: ٤٢٩٤، وحسنه الألباني؛ والخطيب في تاريخه: ج ٢٢٣/١٠، من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم، بهذا الإسناد.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم. فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتنون قسطنطينية.. (الحديث))<sup>(٢)</sup>.

ومن غير الواضح مدى زمن الاحتلال الذي ستخضع له القسطنطينية قبل الفتح الثاني؛ وما هو حال المسلمين فيها بعد احتلالها من الأعداء. والبعض يذهب إلى أن قوى المنافقين بتركيا يمكن أن تكون هي المعنية بفك ارتباط القسطنطينية بدينها وهويتها، ما يجعلها مدينة مختطفة من الجسد الإسلامي. وعليه فإن الفتح المشار إليه بالتَّهْلِيل والتكبير ليس إلا مواجهة مع المنافقين الذين تحور قواهم عند قوة الحق وغلبيته.

### ختاماً..

فإن هذا العرض الموجز يقصد استحثاث همّة المسلمين ووعيهم؛ كي لا تسقط مدنهم وتذهب دولهم، وهم غافلون عن كيد أعدائهم ومكر خصومهم. فالأقدار تدفع بالأسباب والأسباب من الأقدار، وما لم يأخذ المسلمون حذرهم فوتوا الأسباب.

(٢) مسلم: ٢٨٩٧. والأعماق ودابق موضعان بين حلب وأنطاكية.

يَجُزَّ بَيْنَهُم اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هُوَلاءِ وَهُوَلاءِ كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشَّرْطَةُ. فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً، إِمَّا قَالَ: لَا يَرَى مِثْلَهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يَرِ مِثْلَهَا. حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ فَمَا يُخْلَفُهُمْ حَتَّى يَخْرَّ مَيْتاً. فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِّ، كَانُوا مِئَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبَأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيِّ مِيرَاثٍ يُقَاسِمُ؟.. الْحَدِيثُ"<sup>(١)</sup>. وهذا الحديث له حُكْمُ الرَّفْعِ، لِأَنَّهُ مِمَّا لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِوَحْيٍ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهُوَ يُؤَكِّدُ أَنَّ فَتْحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَسْبُوقٌ بِمِلْحَمَةِ (حَرْبِ) عُظْمَى يَسْتَشْهَدُ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيُقْتَلُ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الرُّومِ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُ الطَّيْرُ تَجَاوَزَ الْأَرْضِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا نَتْنٌ جَثْثُهُمْ. وَهَذِهِ الْمِلْحَمَةُ تَجْرِي عَلَى أَرْضِ الشَّامِ حَيْثُ سَيَكُونُ عُقْرُ دَارِ الْإِسْلَامِ؛ فَهِيَ مِلْحَمَةٌ تَسْتَهْدَفُ الْقَضَاءَ عَلَى دَوْلَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْهَاءَ وَجُودِهِمْ؛ بِدَلِيلِ هَذَا الْجَمْعِ غَيْرِ الْمَسْبُوقِ الَّذِي يَعُدُّ لَهُ الرُّومُ.

### احتلال القسطنطينية:

إِنَّ وَقُوعَ الْمِلْحَمَةِ الْكُبْرَى تَمْهِيدٌ لِتَحْرِيرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ اِحْتِلَالِ يَلْحَقُ بِهَا، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِفَتْحِهَا مَعْنَى إِذَا كَانَتْ لَا تَزَالُ بَاقِيَّةً فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ. وَهَنَّاكَ إِشَارَةٌ عَدَّةٌ فِي عَدَّةِ أَحَادِيثٍ تُؤَكِّدُ ذَلِكَ. بَلْ إِنَّ جِيُوشَ الرُّومِ سَتَنْزِلُ بِأَرْضِ بَيْنِ الْأَنْاضُولِ وَسُورِيَا الْيَوْمِ، فَيَمَّا تُسَمَّى بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بَدَاقِ. فَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ

(١) مسلم: (٢٨٩٩).

# بيّنات

## سياسات النشر في المجلة:

- تُقبل المقالات في المجلة بعد العرض على هيئة التحرير إذا استوفت الشروط التالية:
- (١) ألا يكون البحث أو المقال قد سبق نشره، أو قُدّم لأية جهة أخرى من أجل النشر.
  - (٢) أن تكون البحوث والمقالات متسمة بالعمق والأصالة وحسن الأسلوب ووضوحه، والسلامة من الأخطاء اللغوية والنحوية، وأن يضيف نشرها جديداً إلى المعرفة.
  - (٣) أن تكون البحوث والمقالات موثقة من الناحية العلمية بالمراجع والمصادر والوثائق، وتوضع الهوامش في أسفل كل صفحة.
  - (٤) لا تدفع المجلة مكافآت ولا تتقاضى أية مبالغ مقابل البحوث أو المقالات المنشورة أو أي أعمال فكرية ما لم تكن بتكليف.
  - (٥) أن لا يتجاوز البحث أو المقال سبع صفحات (١٠٠٠) كلمة، ولا يقل عن ثلاث صفحات (٤٥٠) كلمة (بمقاس ورقة A4).

✉ bayyinat@gmail.com